

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

مقالات العلامة

الشيخ عبد العزيز بن باز

في مجلة الوعي الإسلامي

مقالات مختصرة نشرت في المجلة
ما بين ١٣٨٩-١٤٠٣هـ للشيخ ابن باز المتوفى سنة ١٤٢٠هـ



الإصدار الثالث عشر ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية



تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

الإصدار الثالث عشر

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

العنوان

ص.ب ٢٣٦٦٧

الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:

www. alwaei.com

إشراف

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

مقالات العلامة

الشيخ عبد العزيز بن باز

في مجلة الوعي الإسلامي

مقالات مختصرة نشرت في المجلة

ما بين ١٣٨٩ - ١٤٠٣هـ للشيخ ابن باز المتوفى سنة ١٤٢٠هـ



الإصدار الثالث عشر
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م



تصدير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، ووهب له العقل ليعقل عن ربه ما شرعه وأبان ، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان ، أحمده حمدًا يملأ الميزان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كل يوم هو في شأن ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث إلى الناس كافة بالدليل والبرهان ، اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد :

فإن الله ، سبحانه وتعالى ، قد أعزّ العلم والعلماء ، وشرّفهم في الأرض والسماء ، وهم في الناس كالنجوم ، يهتدون بها في البر والبحر ، وإن العالم يستغفر له ما في السموات وما في الأرض ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء ، وهم قدوة الأتقياء ، بل هم صفوة الأولياء ، وهم واسطة بين الله تعالى وبين بريته ، فإن

العالم قائم في الأمة مقام الأنبياء ، وهو سراج الأمة وضياؤها بلا مراء ، يبين لهم الأحكام ، ويفرِّق لهم الحلال من الحرام ، ويخرجهم بفتواه من الآثام ، ويوضح لهم شرائع الإسلام ، فيا له من شرف ما أعلاه ، ومن عزٍّ ومنصبٍ ما أسماه ، وما أخطره على من لم يتحرّ في فتواه ، ولم يراقب في علمه وعمله مولاه !

فالعلماء سُرُج الأرض ، وكل عالم مصباح زمانه ، يستضيء به أهل زمانه وعصره ،

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها
متى يمت عالم منها يمت طرفُ

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها
وإن نأى عاد في أكنافها التلف

قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد: ٤١].

أي موت علمائها وفقهائها ، فإن بهم صلاح الدين ، وقمع المعتدين ، ومعرفة رب العالمين ، ومن أعلام هذا العصر العلامة

الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ت :١٤٢٠هـ) رحمه الله وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه ، وقد نفع الله بعلمه ، وانتشرت كتبه في أصقاع المعمورة ، وهو كما وصفه العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله : «لا يوجد له مثيل في تصديه لنفع الناس ودعوتهم وإرشادهم» [مجموع الفوائد لابن سعدي] ، لكن علم الشيخ رحمه الله تعالى المحفوظ في الصدور والمسطور في الأوراق بحاجة إلى العناية والرعاية حتى ينتفع به طلاب العلم ، ومن هذه العلوم والكتب ما كتبه الشيخ وخصّ به مجلة «الوعي الإسلامي» ما بين عامَي (١٣٨٩-١٤٠٣هـ) ، فكان منه هذا الديوان البديع النافع الذي هو حلقة في سلسلة التراث العلمي لمواصلة العمل الجاد لتحقيق وتوثيق ثروة العلماء ليُنتفع بها بعد موتهم وتُخلد ذكراهم .

وهذه المقالات التي بين يديك ما هي إلا نموذج على الهمة العالية ، وما كان عليه أولئك الجلة من كريم الأخلاق وجميل الصفات .

وفي الختام لا يفوتني أن أشكر من ساهم في طبع هذا الكتاب ، وأخص بالذكر الأستاذ/ تركي محمد النصر على ما قام به من الإعداد والترجمة والمتابعة ، فجزاه الله خير الجزاء .

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين النفع العميم ، كما أسأله تعالى أن يجعله سببًا لفوزي ووالديّ ومشايخي ومن يسعى في طبعه ونشره بالدرجات العلا في دار النعيم .

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

الكويت - ١/رمضان/١٤٣١هـ -الموافق- ١١/٨/٢٠١٠م

ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن باز

اسمه ونسبه ومولده

هو أبو عبدالله ، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن سعد آل باز ، ولد في الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ بمدينة الرياض ، في أسرة كريمة ترجع للأشراف من آل أبي نُمَيّ ، وظهر فيها بعض أهل العلم الذين تولوا القضاء والتدريس .

من أعيانهم : الشيخ عبدالمحسن بن أحمد بن باز (ت : ١٣٤٢هـ) ، وابنه مبارك(ت : ١٣٨٥هـ) ، وغيرهم .

وتوفي والده رحمه الله وهو في الثالثة من عمره ، تاركًا من الأولاد : عبدالرحمن ، ومحمد ، وعبدالعزيز (فضيلة الشيخ) .

تزوج الشيخ أربع زوجات ، وله من الأولاد : عبدالله ، وعبدالرحمن ، وأحمد ، وخالد . ومن البنات : سارة ، والجوهرة ، ومضاوي ، وهيا ، وهند ، ونوف .

نشأته

نشأ الشيخ رحمه الله أول عمره ضعيف الجسم ، ولم يستطع المشي إلا بعد بلوغه الثالثة من عمره ، وكان الشيخ في بداية حياته مبصرًا ، غير أنه فقد بصره لاحقًا فتأثرت له والدته كثيرًا ، ودعت له بأن يعوضه الله البصيرة بدل البصر .

تولت والدته (هيا بنت عثمان بن عبدالله بن حُزَيْم ، ت : ١٣٥٦هـ) تربيته ، ودفعته مبكرًا لطلب العلم ، وكان فضلها بعد فضل الله عليه كبيرًا في التربية وغرس الصفات الحميدة في نفسه .

فقده البصر

كان الشيخ أول عمره مبصرًا ، ثم بدأ المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ ، ثم فقد بصره تمامًا عام ١٣٥٠هـ إثر عودته من الحج ، وحاول العلاج لكن قدر الله نافذ ، وعوّضه الله البصيرة والأجر إن شاء الله .

وكان الشيخ يقرأ ويكتب ويعلق على الكتب التي قرأها على المشايخ .

طلبه العلم

أتم سماحته حفظ القرآن الكريم وهو في السادسة عشر من عمره على الشيخ عبدالله بن مفيريج رحمه الله .

وبدأ رحمه الله يتلقى العلم مبكرًا سنة ١٣٤٤هـ ، وهو في سن الثالثة عشر من عمره بهمة عالية ، يدل على ذلك تنوع مشايخه ، وكثرة مقروءاته ومسموعاته ، فضلًا عن جودة تحصيله وحفظه لجملة طيبة من المتون في الفنون ، وكان إلى ذلك مسارعًا في الخيرات .

شيوخه

١ـ العلامة قاضي الرياض صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن

حسين بن محمد بن عبدالوهاب ، (ت : ١٣٧٢هـ) . قرأ عليه الشيخ ثلاثة الأصول ، وكتاب التوحيد ، وكشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وعمدة الحديث للشيخ عبدالغني المقدسي .

٢ـ الشيخ حمد بن فارس ،(ت : ١٣٥٤هـ) . قرأ عليه الشيخ في النحو من متن الآجرومية .

٣ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، (ت : ١٣٤٩هـ) . قرأ عليه الشيخ أبوابًا من كتاب التوحيد ، وكان ذلك برفقة زميليه الشيخين : عبدالله ابن محمد بن حميد رحمه الله ومحمد بن عبدالرحمن بن إسحاق آل الشيخ .

٤ـ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسين ابن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، (ت : ١٣٦٧هـ) . قرأ عليه الشيخ كتاب التوحيد ، وغيره من الكتب الأخرى .

٥ـ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، (ت : ١٣٨٩هـ) حيث لازمه الشيخ حوالي عشر سنين ، ما بين عامي ١٣٤٧هـ و ١٣٥٧هـ ، في مسجده وبيته ، وتأثر به الشيخ كثيرًا ، وقال : «لقد أكرمني الله سبحانه وتفضل عليّ وله الحمد والمنّة بأن كنت من أخص تلاميذ شيخنا المذكور ، ولازمته عشر سنين . . . هو الذي علمنا وتخرجنا على يديه . . . كان من أعلم الناس في زمانه ، ومن أحسنهم تعليمًا وتفقيهًا وعناية بالطالب» وسمع

عليه جميع العلوم الدينية من : عقيدة ، وتفسير ، وحديث ومصطلحه ، وفقه وأصوله ، ونحو وصرف .

ومن الكتب التي قرأها أو سمعها عليه : التوحيد ، وثلاثة الأصول ، وكشف الشبهات ، ومختصر السيرة ، وأصول الإيمان والإسلام ، والواسطية ، وبلوغ المرام ، وزاد المستقنع ، والرحبية ، والكتب الستة ، والآجرومية ، وقطر الندى ، وألفية ابن مالك ، وبعض المطولات ، وجملة من مدارج السالكين ، ومن معالم السنن للخطابي ، وعمدة الحديث ، وشرح نخبة الفكر ، والورقات ، والحموية ، وملحة الإعراب وغيرها .

زملاؤه

ومن زملائه ورفاقه في طلب العلم المشايخ : عبدالله بن بكر ، وعبدالله بن حميد ، وسليمان بن عبيد ، وعبدالله بن يوسف الوابل ، وسعود بن محمد الرشود ، وعبدالله بن محمد بن سعدون ، وصالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ ، وعبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ، وعبدالرحمن بن عبدالله بن حمد بن عتيق ، والأمير محمد ابن عبدالعزيز آل سعود ، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

صفاته وأخباره

ومن أخباره رحمه الله : أنه كان منذ الصغر محبًا للعلم والعلماء

وطلبة العلم ، كريمًا بهم ، ولم يكن يحتقر شيئًا مما يقدمه لضيوفه ، وكان يقول دائمًا : «إن الله كريم ، وسيبسط لنا في الرزق» .

وكان رحمه الله أول نشأته يعمل مع شقيقه محمد في سوق الحراج ، يبيع «البشوت» الرجالية ونحوها تجولًا في السوق ، مع تردده على الكتّاب لحفظ القرآن ، ثمّ تفرغ كليًا لطلب العلم .

توليه القضاء

في سنة ١٣٥٤هـ رشّحه شيخه المفتي الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله لتولي القضاء ، لما لمس منه من تميز في العلم والعمل ، وفي ٢٥ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧هـ صدر أمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بتعيينه قاضيًا في بلدة «الدّلم» ، وتولى الإمامة والخطابة في جامعها الكبير ، وبدأ القضاء في «الدلم» وما حولها وهو في السابعة والعشرين من عمره .

وكان في قضائه وسائر أعماله قويًا من غير عنف ، ولينًا من غير ضعف ، وكان ينفذ الأحكام بنفسه حتى على أمراء القرى والوجهاء والأثرياء ، وأعطاه الله محبة ومهابة لدى الناس ؛ حيث كانت أحكامه نافذة على الجميع ، وكان يجلس للقضاء من الضحى إلى صلاة الظهر ، وربما جلس بعد العصر أحيانًا ، وكان رحمه الله يحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وكان يقول :

«أنا ولله الحمد لستُ بمتعصب ، ولكني أحكم بكتاب الله والسنة ، وأبني فتاوايَ على ما قاله الله ورسوله ، ولا على تقليد الحنابلة ولا غيرهم ، الفتاوى التي تصدر مني إنما أبنيها على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة حسب ما ظهر لي ، وهذا الذي سرت عليه منذ عرفت العلم ، منذ أن كنت في الرياض قبل القضاء ، وبعد القضاء ، وكذلك في المدينة ، وما بعد المدينة . . .» .

قيامه بمصالح الناس

كانت أيام الشيخ أيام خير وبركة في «الدلم» حيث شارك فيها أهل البلد في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية ورعى مصالح الناس وعايشهم وأفادهم ، وقام بأمورهم خير قيام ، وكل ذلك حسبة لوجه الله إضافة إلى عمل القضاء ، ومن أعماله رحمه الله : شق الطرق وتوسيعها ، ومنها طريق المحمدي وطريق الشبيلي ، كما قام بتجديد بناء الجامع الكبير سنة ١٣٥٨هـ ، وأتم بناء عدة مساجد أخرى ، وسعى في فتح أول مدرسة نظامية في الدلم ، وكان رحمه الله يرعى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برفقة طلبته ، وكان يحرص على زيارة المرضى والخروج للجنائز وإكرام الضيوف ، والشفاعة للناس مع أدب رفيع وتواضع جم .

وكان رحمه الله يجلس لتعليم الطلاب بعد صلاة الفجر ، حيث يبدأ مع المبتدئين في المتون القصيرة ، مثل الآجرومية ، والثلاثة الأصول ، وكتاب التوحيد ، والأربعين النووية . ثم يقوم بتعليم الكبار في المطولات

كمختصر المقنع ، وألفية ابن مالك ، وبلوغ المـرام ، ويستمر حتى الضحى . ثم يستأنف دروسه بعد صلاة العصر ، ثم بعد صلاة المغرب حيث خصص هذا الوقت لقراءة الرحبية في علم الفرائض ، وتوافد إليه طلاب العلم من البلاد المجاورة وسعى في إقامة سكن لهم ولعائلاتهم فكان رباط الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي حُوِّلَ في سنة ١٣٦٨هـ إلى المدرسة السعودية الابتدائية ، كما سعى رحمه الله لتخصيص المساعدات المالية لطلاب العلم .

وكان من أعيان مَنْ دَرَسَ عند الشيخ في الدّلم :

راشد بن صالح بن خنين ، عبدالله بن صالح بن قعود ، عبدالعزيز بن محمد بن جلال ، عبدالله بن سليمان المسعري ، عبدالله بن عبدالرحمن الشثري ، عبدالله بن عبدالعزيز بن سمحان ، صالح بن محمد الصيرامي ، عبدالرحمن بن عثمان الجاسر ، سعيد بن عبدالله الغامدي ، مسفر بن سعيد الزهراني ، صالح بن حسين العلي العراقي ، محمد بن عبدالله العديني اليمني ، محمد بن سليمان الأشقر الفلسطيني ، عبدالكريم الهرري الحبشي . . . ، وغيرهم ، وجماعة منهم وصلت إلى مراتب العلم العليا والإفتاء .

ومن نشاطاته في تلك المرحلة كتاب الفتاوى والمقالات والرسائل والردود ونشرها في الصحف والمجلات داخل وخارج المملكة ، وشارك

رحمه الله في تصحيح بعض الكتب وعلَق على بعضها الآخر .

وفي عام ١٣٧٠هـ تم افتتاح المعهد العلمي في الرياض ، وهو من أهم المدارس الشرعية في البلاد ، فطلب المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم من الملك عبدالعزيز نقل الشيخ للتدريس فيه لينتفع بعلمه أكبر عدد ممكن من طلاب العلم ، فأوفد أهل «الدلم» الأعيان إلى الملك عبدالعزيز مطالبين ببقاء الشيخ عندهم ، فوافق الملك وأبقاه عندهم ، إلا أن إلحاح سماحة المفتي بنقله إلى الرياض لقي نجاحًا في سنة ١٣٧١هـ وحزن أهالي «الدلم» للخبر الذي فاجأهم ، إلا أن الشيخ لم يقطعهم بل بقي يتردد عليهم ويزورهم ويلبي دعواتهم .

عمله في التدريس

رجع الشيخ إلى الرياض نهاية سنة ١٣٧١هـ وعمل مدرسًا للعقيدة في المعهد العلمي من أول سنة ١٣٧٢هـ ، ثم انتقل إلى كلية الشريعة سنة ١٣٧٣هـ وبقي يدرس فيها علوم التوحيد والحديث والفقه إلى نهاية سنة ١٣٨٠هـ كما درّس في كلية اللغة العربية أول افتتاحها سنة ١٣٧٤هـ ، وكان خلال تدريسه في الكليتين محافظًا على الدوام متواضعًا ، لا يرى لنفسه ميزة على أقرانه من الأساتذة ، وكان لا يضيع دقيقة من المحاضرة ، ويبدو في عمله وقوله الإخلاص ومحبة العلم وطلابه ، والحرص على البحث ومراجعة المصادر .

وتولى الشيخ في هذه الفترة إمامة الجامع الكبير في الرياض بعد وفاة الشيخ عبدالرحمن بن عودان رحمه الله .

وقد استُقدم إلى الرياض في هذه الفترة عدد من العلماء للتدريس وأبرز من درّسَ مع الشيخ : العلامة محمد الأمين الشنقيطي ، والعلامة محمد المختار الشنقيطي ، والشيخ إبراهيم بن عبدالله الشنقيطي ، والعلامة عبدالرزاق عفيفي ، والشيخ حماد الأنصاري ، والشيخ مناع القطان ، والشيخ إسماعيل الأنصاري ، ومجموعة من العلماء رحمهم الله تعالى .

تواصله مع العلماء

كانت الرياض في هذه الآونة تزخر بالعلماء ومجالسهم ، كمجلس سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم ، ومجلس الشيخ عبدالعزيز الشثري ، ومجلس العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، وكان من أعيان من يحضر تلك المجالس : الشيخ عبدالله بن صالح الخليفي ، والشيخ عبدالرزاق عفيفي ، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ، وغيرهم ، كما كان لسماحة الشيخ ابن باز رحمه الله جلسات علمية كثيرة يحضرها عدد من الأعيان والمشايخ وغيرهم ، وكانت هذه المجالس علمية وأدبية ، يكون فيها قراءة وبحث ، والشيخ من أوائل المشاركين والمعلقين بطرح النكات والألغاز والطرف العلمية .

أعيان مَنْ دَرَسَ عند الشيخ في الرياض

تخرج على الشيخ عدد من كبار العلماء والمشايخ في هذه الآونة ، ومن أعيان من درس عليه في تلك الحقبة : الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، والمفتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ، والشيخ عبدالله بن جبرين ، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الفريان ، والشيخ عبدالله بن غديان ، والشيخ عبدالمحسن العباد ، والشيخ صالح الفوزان ، الشيخ عبدالله بن حسن القعود ، والشيخ راشد بن صالح الخنين ، والشيخ محمد بن عبدالله السبيل ، والشيخ عبدالله بن سليمان المنيع ، والشيخ عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، والشيخ الأمير عبدالرحمن بن محمد بن مقرن آل السعود ، والشيخ أبو بكر الجزائري ، والشيخ محمد ابن سليمان الأشقر ، والشيخ عمر بن سليمان الأشقر ، والشيخ صالح ابن غانم السدلان ، وغيرهم كثير .

وهؤلاء وغيرهم من طلاب الشيخ وصلوا أرفع المستويات والمناصب في شتى الأعمال الشرعية من تدريس وإفتاء ودعوة وتأليف ، وشهرتهم تغني عن الإطناب في ذلك .

عمله في الجامعة الإسلامية

تم افتتاح الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٣٨١هـ وعُهدت رئاستها لمفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وعُيِّن الشيخ ابن باز نائبًا له ، وابتدأ عمله بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٣٨١هـ ، بهمة

عالية ، فاختار العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، وغيره من الموجودين داخل المملكة ، كما انتدب أمين عام الجامعة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي للتعاقد مع عدد من أهل العلم خارج البلاد فكان من أجلهم العلامة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى .

كان سماحته يهتم اهتمامًا ملحوظًا بشؤون الجامعة فيتفقد الفصول ، ويستمع إلى دروس المشايخ ، ويلقي التوجيهات الحكيمة بمنتهى الفطنة والحكمة ، ويدقق على الجانب العقدي الذي يعتبره المنطلق الأساس لتكوين شخصية الطالب ، وكان يحاور المحاضرين في شؤون التعليم ويحثهم على التزام العربية الفصحى كلغة أساسية في التخاطب مع الطلبة ، ويشجعهم على بذل المزيد من الجهد في خدمة العلم وطلابه ابتغاء ما عند الله .

وكان رحمه الله يجتمع بالمدرسين نهاية كل عام فيتدارس معهم شؤون المقررات وملاحظاتهم عليها ، ورأيهم في مسيرة الدروس ، وفي سلوك الطلاب ، وما جمعوه من انطباع خلال العام ، ثم يعرضها على مجلس الجامعة للانتفاع بها .

كما كان يحاضر ويشرف بنفسه على المحاضرات الأسبوعية التي تُلقى في دار الحديث التابعة للجامعة ، كما كان يقوم بزيارة الطلبة في مكان إقامتهم .

وامتدّ نشاطه العلمي إلى الأقاصي البعيدة فانتدب رحمه الله عددًا من المدرسين باسم الجامعة للتدريس في أكثر من دولة من دول الإسلام وبخاصة الهند وإفريقية وباكستان .

فكانت الجامعة بفضل الله ثم بجهود سماحته مركزًا للإشعاع العلمي على مستوى العالم كله .

ولم يقتصر الشيخ على نشاطه في الجامعة الإسلامية فقط بل امتد نشاطه في المدينة المنورة ليطول المسجد النبوي الذي كان يدرس فيه بين المغرب والعشاء على مدار الأسبوع عدا ليلة الثلاثاء ، كما كان له درس بعد صلاة العصر .

مناصبه في هذه المرحلة

١ـ في عام ١٣٨٩هـ وبعد وفاة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم أصدر الملك فيصل رحمه الله المرسوم الملكي القاضي بتعيين الشيخ عبدالعزيز ابن باز رئيسًا للجامعة الإسلامية ، ثم زاره الملك فيصل وأمر ببناء بيت كبير له بعد أن رأى بيته المتواضع ، إلا أن الشيخ رفض أن يُسجل البيت باسمه ، واقترح بأن يسجله باسم رئيس الجامعة الإسلامية .

٢ـ في عام ١٣٩١هـ أصدر الملك فيصل رحمه الله تعالى المرسوم الملكي القاضي بتأسيس هيئة كبار العلماء مؤلفة من سبعة عشر عالمًا ، وكان الشيخ أحدهم ، وكما قام برئاسة بعض دورات الهيئة مع استمراره

في رئاسة الجامعة .

٣ـ في عام ١٣٩٥هـ أصدر الملك خالد بن عبدالعزيز رحمه الله مرسومًا بتعيينه رئيسًا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض ، وكان رحيل الشيخ إلى الرياض مفاجأة أذهلت محبيه وطلابه في المدينة المنورة .

قال الشيخ محمد المجذوب في رحيله :

بكينا وفاءً لامرئٍ قَلَّ أن يُرى

له في الدعاةِ العاملينَ نظيرُ

فخلُّوا ملاميْ إنْ ألحّ بي البُكا

فإنّ فِراقَ الصالحينَ عسيرُ

عاد رحمه الله إلى الرياض رئيسًا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بمرتبة وزير ، وصار أبرز مرجع للمسلمين في العالم .

٤ـ في عام ١٤١٤هـ أصدر الملك فهد رحمه الله الأمر الملكي بتعيينه مفتيًا عامًا للمملكة ورئيسًا لهيئة كبار العلماء ، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء .

٥ـ عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وكان سماحته يرأس اجتماعاتها عند غياب رئيسها الأعلى خادم الحرمين

الشريفين الملك فهد- رحمه الله .

٦ـ عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة .

٧ـ رئيس المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة من عام ١٤٠٥هـ .

٨ـ إمام الفروض (دون خطابة) في الجامع الكبير في الرياض .

٩ـ رئيس جمعية إعانة المتزوجين منذ تأسيسها سنة ١٤٠١هـ .

١٠ـ رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

١١ـ رئيس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع للرابطة .

١٢ـ رئيس المجلس الأعلى العالمي للمساجد .

١٣ـ عضو المجلس الاستشاري للندوة العالمية للشباب الإسلامي .

١٤ـ عضو الصندوق الإسلامي للتنمية الشبابية .

ومع كل هذه الأعمال التي أُسندت إليه فقد كان يقوم بها بهمة عالية واهتمام واضح ملموس ، وإن بعض ذلك لا يقوى عليه الأشداء من الرجال ، بينما الشيخ يقوم بذلك وهو في سنٍّ متقدمة ، وما ذاك إلا ببركة عظيمة أودعها الله في وقته تظهر جليًا في جلوسه للتدريس وإفادة طلاب العلم ، حيث كان يقول -رحمه الله- فيما نقله عنه الشيخ عبدالعزيز الراجحي : «الدروس أحبُّ شيء إلى نفسي» ، حيث درّس في هذه المدة العديد من الكتب منها : «صحيح البخاري مع شرحه فتح

الباري ، وصحيح مسلم مع شرحه للنووي ، وسنن أبي داود مع شرحه من عون المعبود ، وسنن الترمذي مع شرحه من تحفة الأحوذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجة ، والموطأ ، ومسند الإمام أحمد وترتيبه الفتح الرباني للساعاتي ، ومسند الدارمي ، والتوحيد لابن خزيمة ، وصحيح ابن حبان ، والكامل لابن عدي ، وشرح السنة للبغوي ، وعمدة الأحكام ، وبلوغ المرام . . . وغيرها كثير» .

وقد استفاد من دروس الشيخ عدد كبير من المشايخ وطلبة العلم من المملكة ومن خارجها .

تواصله مع الإعلام

كان -رحمه الله- يستغلُّ وسائل الإعلام في الدعوة والإفتاء والنصح والإرشاد ، كان له عبر إذاعة القرآن الكريم برنامج الفتوى الشهير «نور على الدرب» قريبًا من ثلاثين سنة ، كما كان له تواصل مع العديد من المجلات العربية والإسلامية من أشهرها مجلة الوعي الإسلامي الكويتية ، ومجلة «التوحيد» المصرية ، ومجلة «البحوث الإسلامية» ، ومجلة «أهل الحديث» في الهند ، كما كانت تنشر نصائحه وإرشاداته في العديد من الصحف اليومية .

منزلته عند العلماء

نظرًا لما جمعه الله للشيخ من العلم والعمل فقد أطلق عليه الكثير من

العلماء لقب شيخ الإسلام ، ولقب إمام أهل السنة في عصرنا ، وهذه مقتطفات من أقوال أهل العلم والفضل فيه :

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله : «إن سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- لا يحتاج إلى تعريف ، لأن أفعاله تنطق بما قدّم . . . وهو من أعلم الناس بالحديث و التوحيد والفقه» .

وقال العلامة عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل : « . . . أعطاه الله علمًا لَدُنِيًّا لا يتوقف على مدى ما تعلمه من مشايخه . . . ونوّر الله بصيرته عوضًا عمّا فقده من بصره ، فله اليد الطولى في الحديث ، والعقيدة السلفية ، وعلوم الحديث ، والفقه ، وغيرها ، أخذ من كل فنٍّ منها بنصيب وافر» .

وقال العلامة الشيخ محمد السبيّل على منبر المسجد الحرام : «عالم الأمة ، وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر ، علامة زمانه ، وفقيه أوانه ، الداعية إلى الله تعالى على علم وبصيرة ، المجاهد في سبيل الحق والهدى ، سماحة العلامة الجليل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز» .

مؤلفاته

ترك الشيخ مؤلفات وآثارًا كثيرة جدًا مكتوبة ومسموعة ، منها ما هو مطبوع ، ومنها ما لم يُطبع ، من أبرزها :

أولًا : الرسائل الكبيرة والمتوسطة

١- الأدلة الكاشفة لأخطاء بعض الكتاب .

٢- الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس وسكون الأرض .

٣- إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين .

٤- الإمام محمد بن عبدالوهاب . . دعوته وسيرته .

٥- بيان معنى كلمة لا إله إلا الله .

٦- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة .

٧- تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل .

٨- ثلاث رسائل :

- العقيدة الصحيحة وما يضادها .

- الدعوة إلى الله .

- تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة إلى الشيخ أحمد .

٩- رسالتان مهمتان :

- وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها .

- الدعوة إلى الله سبحانه وأخلاق الدعاة .

١٠- الرسائل والفتاوى النسائية .

١١- الفتاوى .

١٢- فتاوى إسلامية .

١٣- فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة .

١٤- فتاوى المرأة لابن باز واللجنة الدائمة ، جمع وترتيب محمد المسند .

١٥- فتاوى مهمة تتعلق بالحج والعمرة .

١٦- فتاوى وتنبيهات ونصائح .

١٧- الفوائد الجلية في المباحث الفرضية .

١٨- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، أشرف على تجميعه وطبعه د . محمد بن سعد الشويعر ، من ١ - ١٢ طبعة دار الإفتاء .

١٩- مجموعة رسائل في الطهارة والصلاة والوضوء .

٢٠- مجموعة الفتاوى والرسائل النسائية .

٢١- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع .

٢٢- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢٣- وجوب العمل بالسنة وكفر من أنكرها .

٢٤- شرح ثلاثة الأصول .

ثانيًا : الرسائل الصغيرة

١- الأذكار التي تقال بعد الفراغ من الصلاة .

٢- إيضاح الحق في دخول الجني في الإنسي والرد على من أنكر ذلك .

٣- التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله .

٤- التحذير من البدع .

٥- التحذير من القمار وشرب المسكر .

٦- التحذير من المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزواج .

٧- تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة من الأدعية والأذكار .

٨- تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي .

٩- ثلاث رسائل في الصلاة :

- كيفية صلاة النبي ﷺ .

- وجوب أداء الصلاة في الجماعة ،

- أين يضع المصلي يديه بعد الرفع من الركوع .

١٠- الجواب الصحيح من أحكام صلاة الليل والتراويح .

١١- الجواب المفيد في حكم التصوير .

١٢- حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات .

١٣- حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار .

١٤- حكم الصلاة على النبي ﷺ والإشارة إليها بالحروف .

١٥- حكم الغناء .

١٦- حكم مقابلة المرأة للسائق والخادم .

١٧- خطر مشاركة الرجل للمرأة في ميدان عمله .

١٨- الدروس المهمة لعامة الأمة .

١٩- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة .

٢٠- رسالتان في الصلاة .

٢١- رسالتان موجزتان عن أحكام الزكاة والصيام .

٢٢- رسالة عن حكم شرب الدخان .

٢٣- رسالة في إعفاء اللحى .

٢٤- رسالة في الجهاد .

٢٥- رسالة في حكم السحر والكهانة .

٢٦- رسالة في مسائل الحجاب والسفور .

٢٧- رسالة في وجوب الصلاة جماعة .

٢٨- رسائل في الطهارة والصلاة .

٢٩- السفر إلى بلاد الكفرة .

٣٠- العقيدة الصحيحة وما يضادها .

٣١- عوامل إصلاح المجتمع مع نصيحة مهمة عامة .

٣٢- الغزو الفكري ووسائله .

٣٣- فتاوى في حكم الغناء والإسبال وحلق اللحى والتصوير وشرب الدخان .

٣٥- فضل الجهاد والمجاهدين .

٣٦- كيفية صلاة النبي ﷺ .

٣٧- ماذا يجب عليكم شباب الإسلام .

٣٨- مجموعة رسائل في الصلاة .

٣٩- موقف اليهود من الإسلام .

٤٠- نصيحة المسلمين وفتاوى بشأن الخدم والسائقين وخطرهم على الفرد والمجتمع .

٤١- نصيحة وتنبيه على مسائل في النكاح مخالفة للشرع .

٤٢- هكذا حج الرسول ﷺ .

٤٣- وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه .

٤٤- في ظل الشريعة الإسلامية .

٤٥- وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة .

٤٦- دعوة للتوبة .

٤٧- بيان لا إله إلا الله .

٤٨- العلم وأخلاق أهله .

٤٩- أهمية العلم في محاربة الأفكار الهدامة .

٥٠- أصول الإيمان .

٥١- لا دين حق إلا دين الإسلام .

٥٢- التحذير من الإسراف والتبذير .

٥٣- يا مسلم احذر تسلم .

٥٤- بيان التوحيد .

٥٥- السحر والخرافة .

٥٦- الأجوبة المفيدة عن بعض رسائل العقيدة .

٥٧- رسالة في التبرك والتوسل .

٥٨- مسؤولية طالب العلم .

٥٩- إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية .

٦٠- نصائح عامة .

وغيرها كثير بين مطبوع وغير مطبوع ، فضلًا عن الدروس والمحاضرات والندوات ، أما ما سجل في الإذاعة فبلغت الأشرطة الموجودة سبعة وأربعين وستمائة شريط .

الأيام الأخيرة من حياته

بدأ الشيخ يعاني من الآلام عند الأكل والشرب بسبب إصابته بمرض سرطان المريء سنة ١٤١٩هـ ، ولاقى الشيخ تعبًا كثيرًا فلا يأكل ولا يشرب إلا القليل جدًّا ، مع ذلك فقد صام رمضان كاملًا ، ومضى في دروسه والقيام بشؤون الناس ، وهو لا يقتات إلا على القليل من السوائل فقط .

اقتصر الشيخ على علاجه داخل المملكة ، واستمرت صحته بالتدهور ، وبالرغم من ذلك فقد صلّى الشيخ على جنازة صديقه الشيخ صالح بن غصون -رحمه الله- وذهب لتعزية أهله ، وفي آخر ليلة له بالرياض وقبل ذهابه إلى مكة زاره جمع غفير من الناس لتوديعه وألقى فيهم كلمة مؤثرة ، وكانت هذه آخر كلمة له في الرياض .

سافر الشيخ إلى مكة وأدى العمرة ، وبقي فيها إلى نهاية ذي الحجة ، ثم توجه إلى الطائف حيث باشر بإلقاء دروسه المعتادة وهو لا يقتات إلا على كوب صغير من اللبن في جميع يومه ، وكان آخر درس ألقاه في الطائف يوم الاثنين ١٧/ ١/ ١٤٢٠هـ ، وكان يوم الثلاثاء الذي يليه آخر أيامه في الدوام الرسمي .

في يوم الأربعاء ١٩ محرم ١٤٢٠هـ دخل الشيخ المستشفى بعد إرهاق شديد ، وبقي فيها إلى يوم الثلاثاء ٢٥ محرم ، حيث أصدر البيان الشهير مع اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، في الرد على الأصوات التي بدأت تنادي بإخراج المرأة السعودية من بيتها ، وقيادتها للسيارة ، ووضع صورتها في البطاقة الشخصية ، وما إلى ذلك من خطوات التغريب والفتنة ، فكان ذلك البيان الذي قمع أولئك المنادين في ذلك الوقت ، ودفع الله به شرًا عظيمًا .

غادر الشيخ المستشفى يوم الأربعاء وقام بإنجاز المعاملات في بيته ، وتوافد الناس للسلام عليه فقام بنصحهم والدعاء لهم وكانت هذه آخر نصائحه العامة ، ثم أمضى الشيخ ليلته مع أهله وأسرته وهو في أنس وسرور وراحة بال تامة ثم انصرفوا عنه لينام .

وفاته

نام الشيخ ليلته بعد أن توضأ وصلّى ما شاء الله له أن يصلي ، وسمع أهله تزايدًا في نَفَسِهِ ، فحملوه إلى المستشفى ، وعند حمله فاضت روحه

إلى بارئها ، وكان ذلك قبيل الفجر من يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠هـ في مدينة الطائف عن عمر ناهز تسعة وثمانين عامًا اختتمها بالتسبيح والصلاة والذكر وقيام الليل ، ونقل جثمانه إلى منزله بمكة لغسله وتكفينه والصلاة عليه .

تلقى العالم خبر وفاته عن طريق بيان صدر من الديوان الملكي ، وأصيب المسلمون بحزن وأسى لا يعلمه إلى الله .

توافد الناس إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة للصلاة على جنازته حيث فاق عددهم المليون ، امتلأ بهم المسجد في مشهد لا ينسى ، وسُمع البكاء والنشيج من أرجاء الحرم .

وبعد صلاة الجمعة حُمِلت جنازته للصلاة عليها ، وصلّى عليها الشيخ محمد السبيِّل ، وتقدم المصلين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد- رحمه الله ، ثم حُملت الجنازة إلى مقبرة العدل بمكة حيث دُفِنَ بها رحمه الله رحمة واسعة ، وصُلِّي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد المملكة العربية السعودية ، وفي بعض المساجد في الدول الإسلامية .

وبوفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله تعالى- خسر المسلمون خسارة كبيرة ، حيث فقدوا بفقده عالمًا جليلًا وهب كلّ حياته في سبيل العلم ، وخدمة الإسلام والمسلمين على اختلاف أوطانهم في جميع أنحاء المعمورة ، وامتاز -رحمه الله- بالقبول العظيم عند الموافق والمخالف ،

وشهد له الجميع بالأمانة والصدق وحسن النصيحة ، مع الغيرة العظيمة على حرمات الله .

فقد كان الشيخ -رحمه الله- من أئمة الهدى ، وأوعية العلم ، لما كان يتمتع به من الاتباع العظيم للكتاب والسنة ، والحرص الشديد على اقتفاء آثار السلف . فرحمه الله رحمة واسعة ، وغفر لنا وله ولجميع المسلمين .

مصادر الترجمة

١- ترجمة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، لعبدالعزيز القاسم ، ومحمد زياد التكلة .

٢- الإبريزية في التسعين البازية : لمحمد بن إبراهيم الشتوي .

٣- أصول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في الرد على المخالفين : للشيخ صالح الفوزان ، والشيخ محمد السدحان ، والشيخ فيصل الجاسم .

٤- موقع الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز على الشبكة العنكبوتية .

* * *

مقالات العلامة

الشيخ عبد العزيز بن باز

في مجلة الوعي الإسلامي

مقالات مصرية نشرت في المجلة

ما بين ١٣٨٩-١٤٠٣هـ للشيخ ابن باز المتوفى سنة ١٤٢٠هـ



رؤيا مكذوبة على النبي ﷺ

العدد (٥٦) شعبان: (١٣٨٩هـ)، أكتوبر: (١٩٦٩م)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . . أما بعد ، فقد اطلعت على ورقة ذكر لي أنها انتشرت في كثير من بلدان المملكة مضمونها أن رجلًا يدعى الحاج عبداللطيف أو الحاج عبدالله مصطفى زعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام بمكة المكرمة ، وأوصاه أن يبلغ المسلمين بالتعاون والإيمان ، وزعم أن من يقرأ تلك الورقة يجب عليه أن يكتبها ثماني مرات ثم يوزعها ، ومن لم يوزعها يصاب بمرض الدم ، ومن يوزعها يفرح فرحة كبيرة بعد عشرة أيام ، ودعا على نفسه إن كان كاذبًا أن يموت على دين الكفر ، هذه خلاصتها .

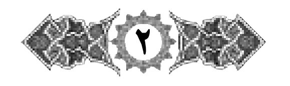
ولواجب النصح للمسلمين ، وتكذيب المفترين ، رأيت أن أنبه الناس على أن هذه الرؤيا وأشباهها من جملة المرائي المكذوبة على رسول الله ﷺ ، ويتنزه الرسول ﷺ أن يقول ، أو يوصي بمثل ما ذكره هذا المفتري من الأمر بكتابتها ثماني مرات أو أقل أو أكثر ، ويرتب على ذلك الثواب ، وعلى تركه العقاب ، فهذا من أبطل الباطل .

وقد أجمع علماء المسلمين على أن الإنسان لو لم يكتب القرآن الكريم ، وهو أعظم الكلام وأفضله لم يكن عليه بأس ، وهكذا سنة

رسول الله ﷺ ، لو لم يكتب شيئًا منها لم يكن عليه بأس ، وكفاه أن يتعلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما لا يسعه جهله ، وبهذا يعلم كل مسلم له أدنى بصيرة أن هذه المرائي وأشباهها من أكاذيب شياطين الإنس والجن ، فالواجب تنبيه الناس عن الاغترار بمثل هذه المرائي الكاذبة ، والمشروع لمن وجدها أن يمزقها ، ويحذر الناس من الاغترار بها .

وأسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، ويمنحهم الفقه في الدين ، وأن يكبت أعداء الإسلام وجميع المفترين ، وأن ينصر دينه ويخذل أعداءه . . إنه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *



شهر رمضان

العدد(٦٩) رمضان : (١٣٩٠هـ)، أكتوبر: (١٩٧٠م)

حل بنا شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والإحسان ، شهر تفتح فيه أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات ، وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات ، وترفع الدرجات ، وتغفر فيه السيئات ، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات ، ويجزل فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن قامه إيماناً واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ، فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات ، والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفي الصيام فوائد كثيرة وحِكَم عظيمة منها :تطهير النفوس وتهذيبها ، وتزكيتها عن الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل ، وتعويدها الأخلاق

الكريمة ، كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصيام : أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه سبحانه وتعالى ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله- سبحانه- والاستعانة بنعمه على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم .

وقد أشار الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ١٨٤ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]

فأوضح- سبحانه- أنه كَتَبَ علينا الصيام لنتقيه سبحانه ، فدلّ على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي : طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه عن إخلاص لله- عز وجل- ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض فوائد الصوم في قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضُ للبصر وأحصنُ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء»[1] فبين النبي ﷺ أن

(١) أخرجه البخاري: [٥٠٦٥].

الصوم وِجَاء للصائم ووسيلة لطهارته وعفافه ، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ، ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ، ويقوي سلطان الإيمان وتكثر به الطاعات من المؤمن ، وتقلّ به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة ، ومنها : أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ، ويكسبه صحة ، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء ، وعالجوا به كثيرًا من الأمراض . وقد ورد في فضله وفريضته آيات وأحاديث كثيرة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ١٨٤ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾ [البقرة: ١٨٤ – ١٨٥]

وفي الصحيحين [البخاري ٨ ، ومسلم ٧] ، عن ابن عمر– رضي الله عنهما– قال : قال رسول الله ﷺ : «بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول لله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» .

وأخرج الترمذي [٢٦١٦] عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النار فقال : «لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، ثم قال النبي ﷺ ألا أدلُّك على أبواب الخير : الصوم جُنّة ، والصدقة تُطْفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧]

ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه» قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» ، ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت بلى يا رسول الله ، قال : «كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه» فقلت يا رسول : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ﷺ «ثكِلَتْك أمك يا معاذ وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم ، أو قال على مناخرهم ، إلا حصائدُ ألسنتهم»؟ .

إن الصوم عمل صالح عظيم ، وثوابه جزيل ، ولاسيما صوم رمضان فإنه الصوم الذي فرضه الله على عباده ، وجعله من أسباب الفوز لديه ،

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : «كلُ عملِ ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعْف ، يقول الله– عز وجل –إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولَخُلُوفُ فمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[1] وفي الصحيح [البخاري ٣٢٧٧] عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغُلّقت أبواب النار ، وسُلسِلت الشياطين» .

وأخرج الترمذي[٦٨٢] وابن ماجه [١٦٤٢]عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفّدت الشياطين ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» .

وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يُبَشّر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول لهم : «جاء شهر رمضان بالبركات فمرحبًا به من زائر وآت» ، وأخرج ابن خزيمة [١٨٨٧] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه خطب الناس في آخر يوم من شعبان فقال : «أيها الناس : إنه قد أظلّكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى

(١) أخرجه ابن خزيمة: [١٨٩٧].

فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، إلى أن قال : فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بها ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار» .

وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان ايمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه»(١) .

وثبت عنه ﷺ أنه كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثًا ، وثبت عنه ﷺ انه في بعض الليالي يصلي ثلاث عشرة ركعة وفي بعضها أقل من ذلك ، وليس في قيام رمضان حد محدود لقول النبي ﷺ لما سئل عن قيام الليل قال : «مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» (٢) ولم يحدد ﷺ للناس في قيام الليل ركعات معدودة

(١) أخرجه البخاري : [٣٨].
(٢) أخرجه البخاري: [٤٧٢].

بل اطلق لهم ذلك ، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة أو ثلاثًا وعشرين أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه ولكن الافضل هو ما فعله النبي ﷺ ودام عليه في أغلب الليالي وهو إحدى عشرة ركعة من الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة وعدم العجلة لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والخشوع فيها وأداؤها كما شرح الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب ، كما قال الله سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]

وقال النبي ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» (١) وقال للذي أساء في صلاته «اذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» (٢) .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، بل ينقرها نقرًا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ، فالواجب الحذر من ذلك ، وفي الحديث عنه ﷺ قال : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال :

---

(١) أخرجه النسائي: [٣٩٣٩].
(٢) أخرجه البخاري: [٦٢٥٢].

لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وثبت عنه ﷺ انه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها» .[1]

فيا معشر المسلمين عظموا الصلاة وأدوها كما شرح الله واغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادة والقربات ، وسارعوا فيه الى الطاعات فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون اليه فيه بالطاعات ، ويتنافسون في أنواع الخيرات ، فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام ، والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير .

وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فاقتدوا به ﷺ في مضاعفة الجود والإحسان في شهر رمضان ، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي ﷺ إنه قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [2] ، وقال ﷺ: «الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن امرؤ سابه أحد فليقل اني أمرؤ صائم» .[3]

---

(١) أخرجه أحمد: [١١٥٤٩].

(٢) أخرجه البخاري: [١٩٠٣].

(٣) أخرجه النسائي: [٢٢١٧]

وجاء عن النبي ﷺ انه قال : «ليس الصيام من الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفث» (١) وصح عن النبي ﷺ أنه قال : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر» .(٢)

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء» (٣) .

فينبغي للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل ، والإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار وسائر أنواع القربات في الليل والنهار اغتنامًا للزمان ، ورغبة في مضاعفة الحسنات ، ومرضات فاطر الأرض والسماوات ،واحذروا رحمكم الله كل ما ينقص الصوم ويضعف الأجر ، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي ، كالتهاون بالصلاة ، والبخل بالزكاة ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتامى ، وأنواع الظلم ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، وشهادة الزور ، والدعاوى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، والتكبر ، وإسبال الثياب ،واستماع الأغاني ،وآلات الملاهي ،وتبرج النساء وعدم تستُّرهن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: [٨٩٧٥].

(٢) أخرجه مسلم: [٥٧٤].

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: [٣٣٧٤].

من الرجال ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهذه المعاصي التي ذكرناها محرمة في كل زمان ومكان ، ولكنها في رمضان أشد تحريمًا ، وأعظم إثمًا لفضل الزمان وحرمته ، ومن أقبح هذه المعاصي واخطرها على المسلمين ما ابتلي به الكثير من الناس من التثاقل عن الصلوات والتهاون بأدائها في الجماعة في المساجد ، ولاشك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ **[النساء: ١٤٢]**

وقال النبي ﷺ «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر»[١] ، وقال له ﷺ رجل أعمى يا رسول الله إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني ، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ «هل تسمع النداء للصلاة؟ قال : نعم ، قال : فأجب» وقال : عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله ﷺ : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، وقال رضي الله عنه :لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم[٢] .

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضًا ما بلي به الكثير من الناس من

(١) أخرجه ابن ماجة: [٧٩٣].

(٢) أخرجه مسلم: [١٥٢٠].

استماع الأغاني وآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها ، ولاريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن والانتفاع به ، ومن أعظم الأسباب أيضًا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ [لقمان: ٦]

وقد فسر أهل العلم «لهو الحديث» بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق ، وقال النبي ﷺ «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» [١] والحر هو الفرج ، والحرير معروف ، والخمر هو كل مسكر ، والمعازف هي آلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب ، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهي ، وقد وقع ذلك كما اخبر به النبي ﷺ وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام ، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع [٢] .

فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا

---

(١) أخرجه البخاري: [٥٥٩٠].

(٢) أخرجه البيهقي: [٢١٥٣٦].

بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة ، والله المسؤول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه ، وأن يتقبل منا جميعًا صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء ، إنه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *



من مسائل الربا

العدد(٧٣) محرم : (١٣٩١هـ)، فبراير: (١٩٧١م)

أما بعد ، فقد سألني غير واحد عن معاملة يتعاطاها كثير من الناس ، وهي أن بعضهم يدفع إلى البنك أو غيره مالًا معلومًا على سبيل الأمانة ، أو ليتجر به القابض على أن يدفع القابض إلى الدافع ربحًا معلومًا كل شهر أو كل سنة ، مثال ذلك أن يدفع شخص إلى البنك أو غيره عشرة آلاف ريال أو أكثر ، على أن يدفع إليه القابض مائة ريال أو أكثر كل شهر أو كل سنة ، وهذه المعاملة لاشك أنها من مسائل الربا المحرم بالنص والإجماع ، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن أكل الربا من كبائر الذنوب ومن الجرائم المتوعد عليها بالنار واللعنة ، قال الله سبحانه : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥ـ ٢٧٩]

ففي هذه الآيات الكريمة الدلالة الصريحة على غلظ تحريم الربا وأنه من الكبائر الموجبة للنار ، كما أن فيها الدلالة على أن الله سبحانه وتعالى يمحق كسب المرابي ويربي الصدقات ، أي يربيها لأهلها وينميها حتى يكون القليل كثيرًا إذا كان من كسب طيب ، وفي الآية الأخيرة التصريح بأن المرابي محاربه الله ورسوله وأن الواجب عليه التوبة إلى الله سبحانه وأخذ رأس ماله من غير زيادة ، وقد صح عن رسول الله ﷺ «أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال هم سواء» [١] .

فالواجب على كل مسلم أن يتقي الله سبحانه ويراقبه في جميع الأمور وأن يحذر ما حرم الله عليه من الأقوال والأعمال والمكاسب الخبيثة ، ومن أعظمها وأخطرها مكاسب الربا الذي أنزل الله فيه ما يوجب الحذر منه والتواصي بتركه ، وقد نقل أبومحمد عبدالله بن أحمد بن قدامة ، رحمه الله ، في كتابه المغني عن الحافظ ابن المنذر إجماع العلماء على تحريم مثل هذه المعاملة ، وفي ذلك كفاية ومقنع لطالب الحق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

(١) أخرجه مسلم: [٤١٧٧].



الدعوة إلى الله سبحانه وأثرها في المجتمع

العدد: (٨٠) شعبان (١٣٩١هـ)، سبتمبر: (١٩٧١م)

لقد رفع الله شأن الدعاة إليه وأبلغ في الثناء عليهم حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور، ويخفف عبء الدعوة إلى الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة، وقد روى عبدالرزاق عن معمر عن الحسن البصري - رحمه الله - أنه تلا هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض الى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله. انتهى.

ولا ريب أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هم سادة الناس في الدعوة وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن - رحمه الله - وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال إمامهم

وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم نبينا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وصبر على الدعوة إلى ربه أتم صبر وأكمله حتى أظهر الله به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجا ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم فصدقوا في الدعوة ونشروا لواء الإسلام في غالب المعمورة لكمال صدقهم وعظيم جهادهم وصبرهم على الدعوة صبرا لا يعتريه ضعف أو فتور ، وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل في جميع الأحوال فضربوا بذلك للناس بعد الرسل أروع الأمثال وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل الصالح ، وبذلك انتصروا على أعدائهم وبلغوا مرادهم وحازوا قصب السبق في كل ميدان ، وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التي ذكرها الحسن ، وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة إلى الله وبذل فيها وسعه فله نصيبه من هذا الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية الكريمة والصفات الحميدة التي وصف بها الحسن الدعاة إلى الحق .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[1] وقال عليه الصلاة والسلام : «من دعا إلى هدى كان له من

(١) أخرجه مسلم: [٥٠٠٧].

الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[1] ، وقال لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بعثه إلى خيبر : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم»[2] .

وفي هذه الأحاديث وما جاء في معناها تنبيه للدعاة إلى الله والمجاهدين في سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه هو هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق إلى عز الايمان ورفعة الإسلام وعبادة الإله الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح العبادة لغيره ولا يستحقها سواه سبحانه وتعالى ، وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية .

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الإسلام التي يشهد له بها أهل الإنصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه ، وذلك من رحمة الله الحكيم العليم الذي جعل هذا الدين الإسلامي دين رحمة وإحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان ويفوق كل قانون ونظام ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا

---

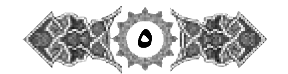
(١) أخرجه مسلم: [٦٩٨٠].

(٢) أخرجه البخاري: [٢٩٤٢]

إلى ذلك من سبيل ، فسبحان الذي شرعه ! ما أحكمه وأعدله ! وما أعلمه بمصالح عباده وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة !

فيأيها الأخ المسلم ، ويأيها العاقل الراغب في الحق ، تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ وادرس ما دلا عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفي قلبك ويروي غلتك ويشرح صدرك ويهديك إلى سواء السبيل .

* * *



الفتاوى (١)

العدد: (٨٤) ذوالحجة (١٣٩١هـ)، يناير: (١٩٧٢م)

وردت هذه الأسئلة إلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز من بعض مناطق اليمن، وقد تفضل بالإجابة التالية عنها:

السؤال: ما حكم الأذان والإقامة في قبر الميت عند وضعه فيه؟

الإجابة : لا ريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه رضي الله عنهم ، والخير كله في اتباعهم ، وسلوك سبيلهم ، كما قال الله سبحانه : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقال النبي ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق على صحته[البخاري٢٦٩٧ ، ومسلم ٤٥٩٨ واللفظ له] وفي لفظ آخر قال ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (١) وكان ﷺ يقول في خطبة الجمعة : «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» [أخرجه مسلم في صحيحه[٢٠٤٢] من حديث جابر رضي الله عنه] .

---

(١) أخرجه البخاري: [٧٣٤٩].

السؤال: ما حكم ما جرت به عادة بعض الناس من ذبح الإبل والغنم وإقامة وليمة عند موت الميت يجتمع فيها المعزون وغيرهم ويقرأ فيها القرآن؟

الإجابة : هذا كله بدعة لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم وقد ثبت عن جرير بن عبدالله الصحابي الشهير رضي الله عنه قال : «كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة» [أخرجه الإمام أحمد [٦٩٠٥] وابن ماجة [١٦١٢] بسند صحيح] ، وإنما المشروع أن يصنع الطعام لأهل الميت ، ويبعث به إليهم من أقاربهم أو جيرانهم أو غيرهم لكونهم قد شغلوا بالمصيبة عن إعداد الطعام لأنفسهم لما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال : لما أتى نعي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال النبي ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد أتاهم ما يشغلهم» [أخرجه الإمام أحمد [١٧٥١] وأبوداود [٣١٣٤] والترمذي [١٠١٤] وابن ماجة [١٦١٠] بإسناد صحيح] ، وهذا العمل مع كونه بدعة ، فيه أيضا تكليف أهل الميت وإتعابهم مع مصيبتهم ، وإضاعة أموالهم في غير حق ، والله المستعان .

السؤال: هل على السيارات التجارية التي تسافر وتجلب الحبوب وغيرها زكاة، وهكذا ما أشبهها من الجمال؟

الإجابة : ليس على السيارات والجمال المعدة لنقل الحبوب والأمتعة وغيرها من بلاد إلى بلاد زكاة ، لكونها لم تعد للبيع وإنما أعدت للنقل والاستعمال ، أما إن كانت السيارات معدة للبيع ، وهكذا غيرها من

الجمال والحمير والبغال وسائر الحيوانات التي يجوز بيعها- إذا كانت معدة للبيع- فإنها تجب فيها الزكاة ، لأنها صارت بذلك من عروض التجارة فوجبت فيها الزكاة لما روى **أبوداود** وغيره عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «كان النبي ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»[1] وإلى هذا ذهب جماهير أهل العلم ، وحكاه الإمام أبوبكر بن المنذر (رحمه الله) وعليه إجماع أهل العلم .

السؤال: بلادنا تنتج الحب، والعملة عندنا بالحبوب لقلة النقود، فإذا جاء وقت البذر اشترينا من التجار الصاع بريال، فإذا جاء وقت الحصاد وصفيت الحبوب سلمنا للتجار عن كل ريال صاعين مثلًا، لأن السعر في وقت الحصاد أرخص منه في وقت البذر، فهل تجوز هذه المعاملة؟

الإجابة : هذه المعاملة فيها خلاف بين العلماء ، وقد رأى كثير منهم أنها لا تجوز ، لأنها وسيلة إلى بيع الحنطة ونحوها بجنسها متفاضلاً ونسيئة ، وذلك عين الربا من جهتين ، جهة التفاضل ، وجهة التأجيل ، وذهب جماعة آخرون من أهل العلم إلى أن ذلك جائز إذا كان البائع والمشتري لم يتواطآ على تسليم الحنطة بدل النقود ، ولم يشترطا ذلك عند العقد ، هذا هو كلام أهل العلم في هذه المسألة ، ومعاملتكم هذه يظهر منها التواطؤ على تسليم حب أكثر بدل حب أقل ، لأن النقود قليلة وذلك لا يجوز ، فالواجب على الزراع في مثل هذه الحالة أن يبيعوا

(١) أخرجه أبوداود: [١٥٦٤].

الحبوب على غير التجار الذين اشتروا منهم البذر ، ثم يوفوهم حقهم نقدًا ، هذا هو طريق السلامة ، والاحتياط والبعد عن الربا ، فإن وقع البيع بين التجار والزراع بالنقود ، ثم حصل الوفاء من الزراع بالحبوب من غير تواطؤ ، ولا شرط فالأقرب صحة ذلك ، كما قاله جماعة من العلماء ، ولاسيما إذا كان الزارع فقيرًا ويخشى التاجر أنه إن لم يأخذ منه حبا بالسعر بدل النقود التي في ذمته فات حقه ولم يحصل له شيء ، لأن الزارع سوف يوفي به غيره ويتركه أو يصرفه- أي الحب- في حاجات أخرى ، وهذا يقع كثيرًا من الزراع الفقراء ، ويضيع حق التجار ، أما إذا كان التجار والزراع قد تواطأوا على تسليم الحب بعد الحصاد بدلًا من النقود ، فإن البيع الأول لا يصح من أجل التواطؤ المذكور ، وليس للتاجر إلا مثل الحب الذي سلم للزراع من غير زيادة تنزيلًا له منزلة القرض لعدم صحة البيع مع التواطؤ على أخذ حب أكثر .

* * *



الفتاوى (٢)

العدد: (٨٨) ربيع الآخر (١٣٩٢هـ)، مايو: (١٩٧٢م)

وردت هذه الأسئلة لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز فأجاب عنها، وتفضل بإرسالها إلى هذا الباب.

السؤال: إذا تخاصمت قبيلتان أو شخصان حكَم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر من الإبل أو الغنم تعقر وتذبح عند من له الحق، فما الحكم في ذلك؟

الإجابة : الذي يظهر لنا من الشرع المطهر أن هذه العقائر لا تجوز لوجوه ، أولها : أن هذا من سنة الجاهلية ، وقد قال النبي ﷺ «لا عقر في الإسلام» (١) ، والثاني أن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق ، والتقرب إليه بالعقيرة ، وهذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله ، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء ، وقد قال جماعة من العلماء : إن هذا يعتبر من الذبح لغير الله ، وذلك لا يجوز بل هو في الجملة من الشرك ، كما قال الله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] ، والنسك هو الذبح ، قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه فدل ذلك على أن الذبح يجب أن يكون

(١) أخرجه أبوداود: [٣٢٢٤].

لله وحده ، كما أن الصلاة لله وحده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ [الكوثر :١-٢] ، وقال النبي ﷺ «لعن الله من ذبح لغير الله» [(١)] ، الوجه الثالث : أن هذا العمل من حكم الجاهلية ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المائدة : ٥٠] ، وفيه مشابهة لأعمال عباد الأموات ، والأشجار ، فالواجب تركه وفيما شرع الله من الأحكام ، ووجوه الإصلاح ما يغني ويكفي عن هذا الحكم ، والله ولي التوفيق .

السؤال: قد اشتهر عندنا أن الرجل إذا غاب عن بلاده ثم قدم، أن النساء من جماعته يأتين إليه ويسلمن عليه ويقبلنه، وهكذا في الأعياد، عيد الفطر، وعيد الأضحى، فهل هذا مباح؟

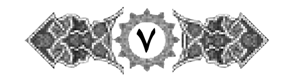
الإجابة : قد علم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن المرأة ليس لها أن تصافح أو تقبل غير محرمها من الرجال ، سواء كان ذلك في الأعياد أو عند القدوم من السفر أو لغير ذلك من الأسباب ، لأن المرأة عورة ، وفتنة فليس لها أن تمس الرجل الذي ليس محرمًا لها ، سواء كان ابن عمها أو بعيدًا منها ، وليس لها أن تقبله أو يقبلها ، لا نعلم بين أهل العلم- رحمهم الله- خلافًا في تحريم هذا الأمر وإنكاره لكونه من أسباب الفتن ، ومن وسائل ما حرم الله من الفاحشة ، والعادات المخالفة للشرع لا يجوز للمسلمين البقاء عليها ، ولا التعلق بها بل يجب عليهم أن يتركوها ، ويحاربوها ، ويشكروا الله سبحانه الذي من عليهم بمعرفة

(١) أخرجه مسلم: [٥٢٤٠].

حكمه ووفقهم لترك ما يغضبه ، والله سبحانه بعث الرسل- عليهم الصلاة والسلام- وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ لدعوة الناس إلى توحيده سبحانه ، وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، ومحاربة العادات السيئة التي تضر المجتمع في دينه ، ودنياه ، ولاشك أن هذه العادات من العادات السيئة .

فالواجب تركها ، ويكفي السلام بالكلام من غير مس ، ولا تقبيل ، وفيما شرع الله وأباح غنية عما حرم ، وكره ، وكذلك يجب أن يكون السلام مع التحجب ولاسيما من الشابات لأن كشف الوجه لا يجوز لكونه من أعظم الزينة التي نهي عن إبدائها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ ﴾ [النور:٣١] ، إلى آخر الآية الكريمة ، وقال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النور: ٦٠] ، والقواعد هن العجائز ، بين الله سبحانه وتعالى أنه لا حرج عليهن في وضع ثيابهن عن الوجه ونحوه إذا كن غير

متبرجات بزينة ، وأن التستر والتحجب خير لهن لما في ذلك من البعد عن الفتنة ، أما مع التبرج بالزينة فليس لهن وضع الثياب بل يجب عليهن التحجب عن الرجال في جميع الأحوال ، سواء كن متبرجات بالزينة أم غير متبرجات لأن الفتنة بهن أكبر ، والخطر في سفورهن أعظم ، وإذا حرم سفورهن فتحريم الملامسة ، والتقبيل من باب أولى ، لأن الملامسة والتقبيل أشد من السفور ، وهما من نتائجه السيئة ، وثمراته المنكرة ، فالواجب ترك ذلك كله ، والحذر منه ، والتواصي بتركه ، وفق الله الجميع لما فيه رضاه ، والسلامة من أسباب غضبه ، إنه جواد كريم ، والذي أوصي به الجميع ، هو تقوى الله سبحانه ، والمحافظة على دينه ، ومن أهم ذلك وأعظمه المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها ، وأداؤها بالخشوع والطمأنينة ، والمسارعة من الرجال إلى أدائها في الجماعة في مساجد الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال الله سبحانه : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور: ٥٦] ، ومن الأمور المهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، وهذه هي أخلاق المؤمنين ، والمؤمنات ، وصفاتهم كما بين الله ذلك في قوله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]



فضل الجهاد والمجاهدين

العدد: (٩٣)، رمضان: (١٣٩٢هـ)، أكتوبر: (١٩٧٢م)

إن الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين، وقمع الكافرين والمنافقين، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين، وقد ورد في فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية، ويحرك كوامن النفوس إلى المشاركة في هذا السبيل، والصدق في جهاد أعداء رب العالمين، وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية التي لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعي، كما لو استنفره الإمام أو حصر بلده العدو أو كان حاضرا بين الصفين، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة، ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ
وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ
(٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ
فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ﴾ [التوبة : ٤١-٤٥] .

ففي هذه الآيات الكريمات يأمر الله عباده المؤمنين أن ينفروا إلى الجهاد خفافًا وثقالًا ، أي شيبًا وشبانًا وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل أن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة ، ثم يبين سبحانه حال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) ﴾ [التوبة: ٤٢] ، ثم يعاتب نبيه ﷺ عتابا لطيفا على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) ﴾ [التوبة : ٤٣] ، ويبين عز وجل أن في عدم الإذن لهم تبين الصادقين وفضيحة الكاذبين ، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يستأذن في ترك الجهاد وبغير عذر شرعي لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ،

ويحفزه إلى المبادرة إلى الجهاد والنفير مع أهله ، ثم يذكر سبحانه أن الذي يستأذن في ترك الجهاد هو عادم الإيمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول ﷺ وفي ذلك أعظم حث وأبلغ تحريض على الجهاد في سبيل الله ، والتنفير من التخلف عنه ، وقال تعالى في فضل المجاهدين : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة : ١١١] .

ففي هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله لله عز وجل ، وأنه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمن أهله الجنة وأنهم يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك في أشرف كتبه وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن ، ثم بين سبحانه أنه لا أحد أوفى بعهده من الله ليطمئن المؤمنون إلى وعد ربهم ، ويبذلوا السلعة التي اشتراها منهم ، وهي نفوسهم وأموالهم في سبيله سبحانه عن إخلاص وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا أجرهم كاملاً في الدنيا والآخرة ، ثم يأمر سبحانه المؤمنين أن يستبشروا بهذا البيع لما فيه من الفوز العظيم والعاقبة الحميدة والنصر للحق والتأييد لأهله وجهاد الكفار والمنافقين وإذلالهم ونصر

أوليائه عليهم وإفساح الطريق لانتشار الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة ، وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف : ١٠-١٣] .

ففي هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة ، ففي ذلك أعظم ترغيب وأكمل تشويق إلى الإيمان والجهاد ، ومن المعلوم أن الإيمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة له سبحانه ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم ، ويدخل في ذلك الجهاد في سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الإسلامية ومن أهم الفرائض ، ولكنه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه ، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التي سبق بيان الكثير منها ، ثم ذكر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة في دار الكرامة ليعظم شوقهم إلى الجهاد ، وتشتد رغبتهم فيه ، وليسابقوا إليه ويسارعوا في مشاركة القائمين به ، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئًا معجلاً يحبونه وهو النصر على الأعداء والفتح القريب على المؤمنين ، وفي ذلك غاية التشويق والترغيب .

والآيات في فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جدا ، وفيما ذكر سبحانه في هذه الآيات التي سلف ذكرها ما يكفي ويشفي ويحفز الهمم ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة ، والله المستعان .

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين ، والتحذير من تركه والإعراض عنه فهي أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ولكن نذكر منها طرفا يسيرا ليعلم المجاهد الصادق شيئا مما قاله نبيه ورسوله الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم في فضل الجهاد ومنزلة أهله ، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[أخرجه البخاري٢٨٩٢ ،ومسلم٥٠٤٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل المجاهد في سبيل الله- والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة» أخرجه مسلم في صحيحه ،[٤٩٧٧] وفي لفظ له «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة» [أخرجه مسلم ٤٩٦٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال

قال رسول الله ﷺ «ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى اللون لون الدم والريح ريح المسك» متفق عليه [أخرجه البخاري ٥٥٣٣ ، ومسلم٤٩٦٧] ، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» [رواه أحمد١٢٢٦٨ ، والنسائي٢٤٢٧] وصححه [الحاكم٣٠٩٦] ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل أي العمل أفضل؟ قال «إيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا؟ قال «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا؟ قال «حج مبرور» متفق على صحته [أخرجه البخاري٢٦ ، ومسلم٢٥٨] ، وعن أبي عبس بن جبر الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار» رواه البخاري في صحيحه [٢٨١١] ، وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» [أخرجه البخاري٢٧٩٠] وفي صحيح مسلم [٥٠٤٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق» وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أحمد وأبو داود [٣٤٦٢]وصححه ابن القطان ، وقال الحافظ في البلوغ رجاله ثقات ، والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية ، والثواب الجزيل ، وفي الترهيب

من ترك الجهاد والإعراض عنه كثيرة جدًا ، وفي الحديثين الأخيرين ، وما جاء في معناهما الدلالة على أن الإعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق ، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع ، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمر الله والجهاد في سبيله ، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعًا بالرجوع إلى دينه وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم جميعا للفقه في الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتى يعزهم ويرفع عنهم الذل ، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المقصود من الجهاد

الجهاد جهادان ، جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعلاء دين الله في أرضه وأن يكون الدين كله لله وحده كما قال عز وجل في كتابه الكريم من سورة البقرة ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ... ﴾ [البقرة :١٩٣] ، وقال في سورة الأنفال ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ ... ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، وقال عز وجل في سورة التوبة : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة : ٥] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقال النبي ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل» متفق على صحته من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-[أخرجه البخاري١٣٩٩ ، ومسلم١٣٣] ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وفي صحيح مسلم عنه أيضًا رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به»[أخرجه مسلم١٣٤] ، وفي صحيح مسلم أيضًا عن طارق الأشجعي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل»[(١)] ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وفي هذه الآيات والأحاديث الدلالة الظاهرة على وجوب جهاد الكفار والمشركين وقتالهم بعد البلاغ والدعوة إلى الإسلام ، وإصرارهم على الكفر حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد ﷺ ويتبعوا ما جاء به ، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك ، وهي تعم جهاد الطلب ، وجهاد الدفاع ، ولا يستثنى من ذلك إلا من التزم بالجزية بشروطها إذا كان من أهلها عملا بقول الله عز وجل

(١) أخرجه مسلم:١٣٩، وأحمد: ١٥٩١٥ واللفظ له

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وثبت عن النبي ﷺ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر ، فهؤلاء الأصناف الثلاثة من الكفار وهم اليهود والنصارى والمجوس ثبت بالنص أخذ الجزية منهم فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا في الإسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا في أحد قولي العلماء ، لأن النبي ﷺ قاتل العرب حتى دخلوا في دين الله أفواجًا ، ولم يطلب منهم الجزية ، ولو كان أخذها منهم جائزًا تحقن دماؤهم وأموالهم لبينه لهم ، ولو وقع ذلك لنقل ، وذهب بعض أهل العلم إلى جواز أخذها من جميع الكفار لحديث بريدة المشهور في ذلك المخرج في صحيح مسلم ، والكلام في هذه المسألة وتحرير الخلاف فيها وبيان الأدلة مبسوط في كتب أهل العلم من أراده وجده ، ويستثنى من الكفار في القتال النساء والصبيان والشيخ الهرم ونحوهم ممن ليس من أهل القتال ما لم يشاركوا فيه فإن شاركوا فيه أو ساعدوا عليه بالرأي والمكيدة قوتلوا كما هو معلوم من الأدلة الشرعية ، وقد كان الجهاد في الإسلام على أطوار ثلاثة ، الطور الأول : الإذن للمسلمين في ذلك من غير الزام لهم به كما في قوله سبحانه ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ﴾ [الحج : ٣٩] ، الطور الثاني : الأمر بقتال من قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم ، وفي هذا النوع نزل قوله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ . . . ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ،

وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ . . ﴾ [الكهف : ٢٩] ، وقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، في قول جماعة من أهل العلم ، وقوله تعالى في سورة النساء ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [النساء : ٨٩–٩٠] ، والآية بعدها ، الطور الثالث : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم في بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير أهل الأرض وتتسع رقعة الإسلام ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والإلحاد وينعم العباد بحكم الشريعة العادل ، وتعاليمها السمحة وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام ، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق سبحانه ، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة ، وهذا هو الذي استقر عليه أمر الإسلام وتوفى عليه نبينا محمد ﷺ وأنزل الله فيه قوله عز وجل في سورة براءة وهي من آخر ما نزل ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ . . . ﴾ [التوبة :٥] ، وقوله سبحانه ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة : ١٩٣] ، والأحاديث السابقة كلها تدل على هذا القول

وتشهد له بالصحة ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الطور الثاني وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قد نسخ لأنه كان في حال ضعف المسلمين ، فلما قواهم الله وكثر عددهم وعدتهم أمرهم بقتال من قاتلهم ومن لم يقاتلهم حتى يكون الدين لله وحده أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها ، وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الطور الثاني لم ينسخ بل هو باق يعمل به عند الحاجة إليه ، فإذا قوي المسلمون واستطاعوا بدء عدوهم بالقتال والجهاد في سبيل الله فعلوا ذلك عملاً بآية التوبة وما جاء في معناها ، أما إذا لم يستطيعوا ذلك فإنهم يقاتلون من قاتلهم وتعدى عليهم ، ويكفون عمن كف عنهم عملا بآية النساء وما ورد في معناها ، وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتاب العصر وغيرهم أن الجهاد شرع للدفاع فقط قول غير صحيح والأدلة التي ذكرنا وغيرها تخالفه ، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من التفصيل كما قرر ذلك أهل العلم والتحقيق ، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه –رضي الله عنهم– في جهاد المشركين اتضح له ما ذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما أسلفنا من الآيات والأحاديث .

وجوب الإعداد للأعداء

وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يعدوا للكفار ما استطاعوا من القوة وأن يأخذوا حذرهم كما في قوله عز وجل ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ... ﴾ [الأنفال :٦٠] ، وقوله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ... ﴾ [النساء : ٧١] ، وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان ، كما يدخل في ذلك إعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها ، وتوجيههم إلى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده في الكر والفر والأرض والجو والبحر وفي سائر الأحوال ، لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالإعداد وأخذ الحذر ولم يذكر نوعا دون نوع ولا حالًا دون حال ، وما ذاك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع ، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى والجهاد قد يكون ابتداء وقد يكون دفاعًا ، فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالإعداد وأخذ الحذر ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال :«الحرب خدعة»(١) ومعناه :أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب ما لا يدركه بالقوة والعدد وذلك مجرب معروف ، وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود رضي الله عنه بإذن النبي ﷺ ما كان من أسباب خذلان

(١) أخرجه البخاري: [٣٠٢٩]

الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم ، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم كما قال عز وجل﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ومما تقدم يتضح لذوي البصائر أن الواجب امتثال أمر الله والإعداد لأعدائه وبذل الجهود في الحيطة والحذر ، واستعمال كل ما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية مع الإخلاص لله والاعتماد عليه والاستقامة على دينه ، وسؤاله المدد والنصر ، فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهم إذا أدوا حقه ، ونفذوا أمره وصدقوا في جهادهم وقصدوا بذلك إعلاء كلمته وإظهار دينه ، وقد وعدهم الله بذلك في كتابه الكريم وأعلمهم أن النصر من عنده ليثقوا به ويعتمدوا عليه مع القيام بجميع الأسباب قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد :٧] ، وقال سبحانه ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم :٤٧] ، وقال عز وجل ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج : ٤٠-٤١] ، وقال عز وجل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ . . . ﴾ [النور : ٥٥] ، وقال تعالى ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ، وقال سبحانه ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ ﴾ [الأنفال : ٩-١٠] ، وقد سبق في هذا المعنى آية سورة الصف وهي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [الصف : ١٠-١٣] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولما قام سلفنا الصالح بما أمرهم الله به ورسوله وصبروا وصدقوا في جهاد عدوهم نصرهم الله وأيدهم وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة أعدائهم كما قال عز وجل ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩ ﴾ [البقرة :٢٤٩] ، وقال عز وجل ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠ ﴾[آل عمران : ١٦٠] ، ولما غير المسلمون وتفرقوا ولم يستقيموا على تعاليم ربهم وآثر أكثرهم أهواءهم أصابهم من الذل والهوان وتسليط

الأعداء ما لا يخفى على أحد ، وما ذاك إلا بسبب الذنوب والمعاصي ، والتفرق والاختلاف وظهور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البلاد ، وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة كما قال الله سبحانه ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى : ٣٠] ، وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ . . . ﴾ (الأنفال : ٥٣) ، وقال عز وجل ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الروم : ٤١] ، ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد من النزاع والاختلاف والاخلال بالثغر الذي أمرهم النبي ﷺ بلزومه جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل والجراح والهزيمة ما هو معلوم ، ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله تعالى قوله ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾[آل عمران : ١٦٥] ، ولو أن أحدا يسلم من شر المعاصي وعواقبها الوخيمة لسلم رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام يوم أحد وهم خير أهل الأرض ويقاتلون في سبيل الله ومع ذلك جرى عليهم ما جرى بسبب معصية الرماة التي كانت عن تأويل لا عن قصد للمخالفة لرسول الله ﷺ والتهاون بأمره ، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين ظنوا أن الأمر قد انتهى وأن الحراسة لم يبق لها حاجة وكان الواجب عليهم أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبي ﷺ بتركه ، ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر وقضى ما قضى لحكمة بالغة وأسرار عظيمة ،

ومصالح كثيرة قد بينها في كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله ﷺ وأنه رسول الله حقًا ، وأنه بشر يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك ، وليس بإله يعبد وليس مالكًا للنصر ، بل النصر بيد الله سبحانه ينزله على من يشاء ، ولا سبيل إلى استعادة المسلمين مجدهم السالف واستحقاقهم النصر على عدوهم إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، وتحكيمه في أمورهم كلها ، واتحاد كلمتهم على الحق وتعاونهم على البر والتقوى كما قال الإمام مالك بن أنس -رحمة الله عليه- «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها» وهذا هو قول جميع أهل العلم ، والله سبحانه إنما أصلح أول هذه الأمة باتباع شرعه والاعتصام بحبله والصدق في ذلك والتعاون عليه ، ولا صلاح لآخرها إلا بهذا الأمر العظيم ، فنسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في دينهم وأن يجمعهم على الهدى وأن يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه- عليه الصلاة والسلام- وتحكيم شريعته والتحاكم إليها ، والاجتماع على ذلك والتعاون عليه إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *



كيف نحارب الغزو الثقافي الغربي والشرقي

العدد: (٩٨) ، صفر: (١٣٩٣هـ) ، مارس: (١٩٧٣م)

إن أخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى ، ذلك أن الاستعمار في العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما أدركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها في الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها ، حيث إن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والإرهاب مما تأباه الطباع وتنفر منه النفوس ، لاسيما في الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعي بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض ، وأصبح هناك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب وترفض الاستعمار عن طريق القوة وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب ، وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعي في سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم في أوطانهم ، حسب ميولهم ورغباتهم وطريقتهم في الحياة ، وحسب ما تدين به تلك الشعوب من معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما اضطر معه الى الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف ، وصدامات مسلحة وحروب كثيرة دامية .

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكر في عدة وسائل ، واتخذ كثيرا من المخططات بعد دراسة واعية وتفكير طويل وتصور كامل لأبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها ، والطرق التي ينبغي أن تتخذ للوصول إلى الغاية التي يريد .

وأهدافه تتلخص في إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين ، مبالغة في الدهاء والمكر والتلبيس ، ركز فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته وترسيخ الإعجاب بما حققه في مجال الصناعات المختلفة ، والمكاسب المادية في نفوس أغلب الناس ، حتى إذا ما تشربت بها قلوبهم وأعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها وعظيم ما حققته وأنجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة ، لاسيما في صفوف الطلاب والمتعلمين الذين لايزالون في سن المراهقة والشباب ، اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة لإكمال تعليمهم في الخارج في الجامعات الأوروبية والأميركية وغيرها ، حيث يواجهون هناك بسلسلة طويلة من الشبهات والشهوات على أيدي المستشرقين والملحدين بشكل منظم وخطط مدروسة وأساليب ملتوية في غاية المكر والدهاء ، وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكيك ومجون وإباحية .

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من إغراء وتشجيع وعدم وازع من

دين أو سلطة ، قل من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها إلا من عصم الله وهم القليل ، وهؤلاء بعد إكمال دراستهم وعودتهم إلى بلادهم وتسلمهم المناصب الكبيرة في الدولة خير من يطمئن إليهم المستعمر بعد رحيله ، ويضع الأمانة الخسيسة في أيديهم لينفذوها بكل دقة ، بل بوسائل وأساليب أشد عنفا وقسوة من تلك التي سلكها المستعمر ، كما وقع ذلك فعلا في كثير من البلاد التي ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به .

أما الطريق إلى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه وأضراره ، فيتلخص فيما أقدمت عليه حكومتنا السنية بعد إدراك كامل للمصلحة العامة ، وتقدير للمسؤولية من إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث إلى الخارج ، وتدريس العلوم بكافة أنواعها في المملكة حرصا على سلامة عقيدة هؤلاء الشباب وصيانة أخلاقهم ، وخوفا على مستقبلهم ، وحتى يساهموا في بناء مجتمعهم على ضوء من تعاليم الشريعة الإسلامية وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسلمة ، وضيقت من نطاق الابتعاث إلى الخارج وحصرته في علوم معينة لا يتوفر في الوقت الحاضر تدريسها في الداخل .

وإنا لنشكر لحكومتنا السنية هذا الصنيع ، وحرصها الشديد على

مستقبل الأمة والوطن وعلى ما حققته وأنجزته من المشاريع النافعة والمكاسب الضخمة ، ونسأل الله لها مزيدًا من التوفيق للأعمال الصالحة والخدمات النافعة للمسلمين ، ولكن هذا المقام مع ما ذكرنا يحتاج إلى مزيد من العناية في إصلاح المناهج وصبغها بالصبغة الإسلامية على وجه أكمل ، والاستكثار من المؤسسات العلمية التي يستغني بها أبناء البلاد عن السفر إلى الخارج ، واختيار المدرسات والمديرين والمديرات ، وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الفاضلة والعقيدة الطيبة والسيرة الحسنة والغيرة الإسلامية والقوة والأمانة ، لأن من كان بهذه الصفات أمن شره ورجي خيره ، وبذل وسعه في كل ما من شأنه إيصال المعلومات إلى الطلبة والطالبات سليمة نقية .

أما إذا اقتضت الضرورة ابتعاث بعض الطلاب إلى الخارج لعدم وجود بعض المعاهد الفنية المتخصصة لاسيما في مجال التصنيع وأشباهه ، فأرى أن يكون لذلك لجنة علمية أمينة لاختيار الشباب الصالح في دينه وأخلاقه المتشبع بالثقافة والروح الإسلامية ، واختيار مشرف على هذه البعثة معروف بعلمه وصلاحه ونشاطه في الدعوة ليرافق البعث المذكورة ، ويقوم بالدعوة إلى الله هناك ، في الوقت نفسه يشرف على البعثة ويتفقد أحوالها وتصرفات أفرادها ويقوم

بإرشادهم وتوجيههم وإجابتهم عما قد يعرض لهم من شبه وتشكيك وغير ذلك .

وينبغي أن تعقد لهم دورة قبل ابتعاثهم ولو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات التي قد تواجههم في البلاد التي يبتعثون إليها ، ويبين لهم موقف الشريعة الإسلامية منها والحكمة فيها حسب ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام أهل العلم ، مثل أحكام الرق وتعدد الزوجات بصفة عامة وتعدد أزواج النبي ﷺ بصفة خاصة ، وحكم الطلاق وحكمة الجهاد ابتداء ودفاعًا ، وغير ذلك من الأمور التي يوردها أعداء الله على المسلمين حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه .

أما عن مجابهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف ، والدعاية المضللة والأدب الرخيص والصور العارية ، والدعوة إلى الفساد ، فأرى أن من أهم علاج ذلك أن تهتم الدول الإسلامية لاسيما حكومتنا السنية بإيجاد هيئة من أهل العلم والبصيرة والغيرة على الإسلام والثقافة الواسعة ، وتُفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة والدعوة

إلى الإسلام والرد على الغزو الثقافي المنظم ، وكشف عواره وتبيين زيفه ، حيث إن الأعداء قد جندوا كافة إمكاناتهم وقدراتهم وأوجدوا المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين ، فلابد من تفنيد هذه الشبهات ، وعرض الإسلام عقيدة وتشريعا وأحكامًا وأخلاقًا عرضًا شيقًا صافيًا جذابًا بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة ، وعن طريق الحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن ، فهو الدين الكامل الجامع لكل خير ، الكفيل بسعادة البشر وتحقيق الرقي الصالح والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة والفوز في الدنيا والآخرة .

وما أصيب المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب ، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته ، وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه ، وتقصير أكثر العلماء في شرح مزاياه وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والصبر في الدعوة إليه ، وتحمل الأذى في ذلك بالأساليب والطرق المتبعة في هذا العصر ، ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف وجهل الأكثر لأحكام الإسلام والتباس الأمور عليهم .

ومعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، والذي صلح به أولها هو اتباع كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين

عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [الأعراف : ٣] ، وقال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] ، وقال سبحانه ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] ، قد وعدهم الله سبحانه على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ ﴾ [الروم : ٤٧] ، وقال سبحانه ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] وقال عز وجل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥ ﴾ [النور : ٥٥] ، وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد : ٧] ، الآيات في هذا المعنى كثيرة .

ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قولًا وعملًا وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونشر بهم العدل ورحم بهم العباد ، وجعلهم قادة الأمة وأئمة الهدى ، ولما غير من

بعدهم غير عليهم كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: ١١]

فنسأل الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومات وشعوبًا الى دينهم ردًا حميدًا ، وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به ، وأن يجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان .

* * *



الوصُول إلى القمر

العدد: (١٤٣) ، ذوالقعدة: (١٣٩٦هـ) ، نوفمبر: (١٩٧٦م)

تكرر الحديث في الآونة الأخيرة عن وصول بعض رواد الفضاء إلى سطح القمر وعما يحاولونه من الوصول إلى غيره من الكواكب ، ولكثرة التساؤل والخوض في ذلك رأيت أن أكتب كلمة في الموضوع تنير السبيل ، وترشد إلى الحق في هذا الباب – إن شاء الله – فأقول : إن الله سبحانه وتعالى حرم على عباده القول بغير علم وحذرهم من ذلك في كتابه المبين ، فقال عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:]

وأخبر سبحانه : أن الشيطان يأمر بالقول عليه بغير علم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩]

وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتثبت في أخبار الفاسقين ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] ، فالواجب على المسلمين عمومًا ، وعلى طلبة العلم خصوصا ، الحذر من القول على الله بغير علم ، فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول : هذا حلال ، وهذا حرام ، أو هذا جائز ، وهذا ممتنع ، إلا بحجة يحسن الاعتماد عليها ، وإلا فليسعه ما وسع أهل العلم قبله ، وهو الإمساك عن الخوض فيما لا يعلم ، وأن يقول : الله أعلم أو لا أدري ، وما أحسن قول الملائكة عليهم السلام لربهم عز وجل : ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]

وكان أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم إذا سألهم الرسول ﷺ عن شيء لا يعلمونه قالوا : «الله ورسوله أعلم» . وما ذاك إلا لكمال علمهم وإيمانهم ، وتعظيمهم لله عز وجل ، وبعدهم عن التكلف ، ومن هذا الباب وجوب التثبت فيما يقوله الكفار والفساق وغيرهم ، عن الكواكب وخواصها ، وإمكان الوصول إليها ، وما يلتحق بذلك ، فالواجب على المسلمين في هذا الباب كغيره من الأبواب التثبت ، وعدم المبادرة بالتصديق أو التكذيب ، إلا بعد حصول المعلومات الكافية ، التي يستطيع المسلم أن يعتمد عليها ويطمئن إليها ، في التصديق أو التكذيب ، وهذا هو معنى قوله سبحانه في الآية السابقة من سورة الحجرات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الآية ، والتبين هو التثبت ،

حتى توجد معلومات أو قرائن تشهد لخبر الفاسق ونحوه ، بما يصدقه أو يكذبه ، ولم يقل سبحانه : إن جاءكم فاسق بنبأ فردوا خبره . ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ لأن الفاسق سواء كان كافرا ، أو مسلماً عاصياً ، قد يصدق في خبره ، فوجب التثبت في أمره وقد أنكر الله سبحانه على الكفار تكذيبهم بالقرآن بغير علم ، قال تعالى: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩ ﴾ [يونس: ٣٩]. وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في قصيدته الكافية الشافية :

إن البدار برد شيء لم تحط   علمًا به سبب إلى الحرمان

وأعظم من ذلك وأخطر ، الإقدام على التكفير أو التفسيق بغير حجة يعتمد عليها ، من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، ولاشك أن هذا من الجرأة على الله وعلى دينه ، ومن القول عليه بغير علم ، وهو خلاف طريقة أهل العلم والإيمان من السلف الصالح رضي الله عنهم وجعلنا من أتباعهم بإحسان ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما»(١) ، وقال ﷺ : «من دعا رجلًا بالكفر أو قال : يا عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه» (٢) أي : رجع عليه ما قال وهذا وعيد شديد يوجب الحذر من التكفير والتفسيق ، إلا

(١) أخرجه البخاري: [٦١٠٤].
(٢) أخرجه مسلم: [٢٢٦].

عن علم وبصيرة ، كما أن ذلك وما ورد في معناه يوجب الحذر من ورطات اللسان ، والحرص على حفظه إلا من الخير .

إذا علم هذا فلنرجع إلى موضوع البحث المقصود ، وقد تأملنا ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات المشتملة على ذكر الشمس والقمر والكواكب ، فلم نجد فيها ما يدل دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب ، وهكذا السنة المطهرة لم نجد فيها ما يدل على عدم إمكان ذلك وقصارى ما يتعلق به من أنكر ذلك أو كفر من قاله ، ما ذكره الله في كتابه الكريم في سورة الحجر ، حيث قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨] ، وقال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١] ، وقال في سورة الصافات : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠]. وقال سبحانه في سورة الملك : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ [الملك: ٥] ، وقال في سورة نوح : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥ ـ ١٦] ، وظنوا أن ما ذكره الله في هذه الآيات الكريمات وما جاء في

معناها يدل على أن الكواكب في داخل السماء ، أو ملصقة بها ، فكيف يمكن الوصول إلى سطحها ، وتعلقوا أيضا بما قاله بعض علماء الفلك : من أن القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة .

وقد نقل ذلك كثير من المفسرين وسكتوا ، والجواب أن يقال : ليس في الآيات المذكورات ما يدل على أن الشمس والقمر وغيرهما من الكواكب في داخل السماء ولا أنها ملصقة بها ، وإنما تدل الآيات على أن هذه الكواكب في السماء وأنها زينة لها ، ولفظ السماء يطلق في اللغة العربية على كل ما علا وارتفع ، كما في قوله سبحانه : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك: ١٦ — ١٧] ، قال جماعة من المفسرين في هاتين الآيتين : إن «في» للظرفية ، وأن السماء ، المراد بها : العلو ، واحتجوا بذلك على أن الله سبحانه في جهة العلو فوق العرش ، وما ذاك إلا لأن إطلاق السماء على العلو أمر معروف في اللغة العربية وقال آخرون من أهل التفسير : إن «في» هنا بمعنى على ، وأن المراد بالسماء هنا : السماء المبنية ، كما قال سبحانه : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [التوبة: ٢] ، أي على الأرض ، وعلى هذا يكون المعنى : أن الله سبحانه فوق السماء ، فيوافق ذلك بقية الآيات الدالة على أنه

سبحانه فوق العرش ، وأنه استوى عليه استواء يليق بجلاله عز وجل ، ولا يشابهه فيه استواء خلقه ، كما قال عز وجل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، وقال سبحانه : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص : ٤] وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [النحل: ٧٤]. ومن أنكر هذا المعنى ووصف الله سبحانه وتعالى بخلافه ، فقد خالف الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ، الدالة على علو الله سبحانه ، واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ، كما خالف إجماع سلف الأمة ، ومن هذا الباب قوله سبحانه في سورة البقرة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ — ٢٢] ، ذكر جماعة من المفسرين أن المراد بقوله سبحانه في هذه الآية : ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ أن المراد بالسماء هنا : هو السحاب ، سمي بذلك لعلوه وارتفاعه فوق الناس ، ومن هذا الباب أيضًا قوله عز وجل في سورة الحج : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج: ١٥] ، قال المفسرون : معناه فليمدد بسبب إلى ما فوقه من سقف ونحوه ، فَسَمَّاه سماء لعلوه بالنسبة إلى من تحته ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ

تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ، فقوله هنا : في السماء ، أي في العلو ، وقال صاحب القاموس : سما سموا ارتفع ، وبه أعلاه كأسماه ، إلى أن قال : والسماء معروفة تؤنث وتذكر وسقف كل شيء ، انتهى .

والأدلة في هذا الباب من كلام الله سبحانه وكلام رسوله محمد ﷺ وكلام المفسرين ، وأئمة اللغة ، على إطلاق لفظ السماء على الشيء المرتفع كثيرة .إذا عرف هذا فيحتمل أن يكون معنى الآيات أن الله سبحانه جعل هذه الكواكب في مدار بين السماء والأرض ، وسماه سماء لعلوه ، وليس فيما علمنا من الأدلة ما يمنع ذلك ، وقد ذكر الله سبحانه أن الشمس والقمر يجريان في فلك في آيتين من كتابه الكريم وهما قوله عز وجل في سورة الأنبياء : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ **[الأنبياء: ٣٣].**

وقوله سبحانه في سورة يس : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠] ، ولو كانا ملصقين بالسماء لم يوصفا بالسبح لأن السبح هو الجري في الماء ونحوه .

وقد ذكر ابن جرير رحمه الله في تفسيره المشهور أن الفلك في لغة العرب هو الشيء الدائر ، وذكر في معناه عن السلف عدة أقوال ، ثم قال ما نصه : «والصواب من القول في ذلك : أن يقال كما قال الله عز

وجل : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠] وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد : كحديدة الرحا ، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحا ، وجائز أن يكون موجا مكفوفا ، وأن يكون قطب السماء وذلك أن الفلك في كلام العرب : هو كل شيء دائر ، فجمعه أفلاك» ، ونقل رحمه الله عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال ما نصه : «الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم ، والشمس والقمر ، وقرأ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١]. وقال : تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض . انتهى .

وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير كلام ابن زيد هذا ، وأنكره ولا وجه لإنكاره عند التأمل ، لعدم الدليل على نكارته ، وقال النسفي في تفسيره ما نصه : «والجمهور على أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر والنجوم» انتهى .

وقال الألوسي في تفسيره : «روح المعاني» ما نصه : «وقال أكثر المفسرين : هو موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر» انتهى .

وعلى هذا القول في تفسير الفلك والآيات المتقدمة آنفا ، لا يبقى إشكال في أن الوصول إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب لا يخالف

الأدلة السمعية ، ولا يلزم منه قدح فيما دل عليه القرآن من كون الشمس والقمر في السماء ، ومن زعم أن المراد بالأفلاك السَّموات المبنية فليس لقوله حجة يعتمد عليها فيما نعلم ، بل ظاهر الأدلة النقلية وغيرها يدل على أن السموات السبع غير الأفلاك ، ويحتمل أنه أراد بالسماء في الآيات المتقدمة : السماء الدنيا ، كما هو ظاهر في آية الحجر وهي قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحجر: ١٦] ، ولم يرد سبحانه أن البروج في داخلها ، وإنما أراد سبحانه أنها بقربها وتنسب إليها كما يقال في لغة العرب فلان مقيم في المدينة ، أو في مكة وإنما هو في ضواحيها وما حولها ، وأما وصفه سبحانه للكواكب بأنها زينة للسماء فلا يلزم منه أن تكون ملصقة بها ، ولا دليل على ذلك ، بل يصح أن تسمى زينة لها ، وإن كانت منفصلة عنها ، وبينها وبينها فضاء كما يزين الإنسان سقفه بالقماش والثريات الكهربائية ونحو ذلك من غير ضرورة إلى إلصاق ذلك به ، ومع هذا يقال في اللغة العربية : فلان زين سقف بيته ، وإن كان بين الزينة والسقف فضاء .

وأما قوله سبحانه في سورة نوح : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥ – ١٦] ، فليس في الأدلة ما يدل على أن معناه أن الشمس والقمر في داخل السموات ، وإنما معناه عند الأكثر : أن نورهما في السَّموات لا أجرامهما فأجرامهما خارج السَّموات ونورهما في السموات والأرض ، وقد روى ابن جرير رحمه

الله عند هذه الآية عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، ما يدل على هذا المعنى حيث قال في تفسيره : حدثنا عبدالأعلى ، قال حدثنا ابن ثور ، عن معمر عن قتادة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : إن الشمس والقمر وجوههما قبل السَّموات ، وأقفيتهما قبل الأرض . انتهى .

وفي سنده انقطاع ، لأن قتادة لم يدرك عبدالله بن عمرو ، ولعل هذا - إن صح عنه - مما تلقاه عن بني إسرائيل ، وظاهر الآية يدل على أن نورهما في السَّموات لا أجرامهما ، وأما كون وجوههما إلى السَّموات وأقفيتهما إلى الأرض فموضع نظر ، والله سبحانه وتعالى أعلم بذلك .

وأما قول من قال من أهل التفسير : أن ذلك من باب إطلاق الكل على البعض لأن القمر في السماء الدنيا ، والشمس في الرابعة ، كما يقال : رأيت بني تميم وإنما رأى بعضهم فليس بجيد ، ولا دليل عليه ، وليس هناك حجة يعتمد عليها فيما نعلم ، تدل على أن القمر في السماء الدنيا والشمس في الرابعة ، وأما قول من قال ذلك من علماء الفلك ، فليس بحجة عليها لأن أقوالهم غالبًا مبنية على التخمين والظن ، لا على قواعد شرعية ، وأسس قطعية ، فيجب التنبه لذلك ، ويدل على هذا المعنى : ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ حيث قال ما نصه :

أي واحدة فوق واحدة ، وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الأمور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات؟ فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا ، فأدناها القمر في السماء الدنيا ، وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة ، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ، ففي فلك ثامن يسمونه : «فلك الثوابت» ، والمتشرعون منهم يقولون : هو الكرسي ، والفلك التاسع : وهو الأطلس ، والأثير عندهم : الذي حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات ، وهي من المغرب إلى المشرق وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ، ومعها يدور سائر الكواكب تبعًا ، ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها ، فإنها تسير من المغرب إلى المشرق ، وكل يقطع فلكه بحسبه ، فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة ، والشمس في كل سنة مرة ، وزحل في كل ثلاثين سنة مرة ، وذلك بحسب اتساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة ، هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم ، في مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها» انتهى .

فقول الحافظ رحمه الله هنا : على اختلاف بينهم . . . إلخ ، يدل على أن علماء الفلك غير متفقين على ما نقله عنهم آنفًا ، من

كون القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة . . إلخ وغير ذلك مما نقله عنهم ، ولو كانت لديهم أدلة قطعية على ما ذكروا ، لم يختلفوا ، ولو فرضنا أنهم اتفقوا على ما ذكر فاتفاقهم ليس بحجة ، لأنه غير معصوم ، وإنما الإجماع المعصوم هو إجماع علماء الإسلام الذين قد توافرت فيهم شروط الاجتهاد لقول النبي ﷺ فيما رواه الشيخان : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» [أخرجه البخاري ٧٣١١ ، ومسلم٤١٢ واللفظ له] . فإذا اجتمع علماء الإسلام على حكم ، اجتماعًا قطعيًا لا سكوتيًا ، فإنهم بلاشك على حق ، لأن الطائفة المنصورة منهم .

وقد أخبر النبي ﷺ أنها لا تزال على الحق ، حتى يأتي أمر الله ، وظاهر الأدلة السابقة ، وكلام الكثير من أهل العلم أو الأكثر كما حكاه النسفي ، والألوسي : أن جميع الكواكب ومنها الشمس والقمر تحت السَّموات ، وليست في داخل شيء منها ، وبذلك يعلم أنه لا مانع من أن يكون هناك فضاء بين الكواكب والسماء الدنيا ، يمكن أن تسير فيه المركبات الفضائية ، يمكن أن تنزل على سطح القمر أو غيره من الكواكب ولا يجوز أن يقال بامتناع ذلك إلا بدليل شرعي صريح يجب المصير إليه ، كما أنه لا يجوز أن يصدق من قال إنه وصل إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب ، إلا بأدلة

علمية تدل على صدقه ، ولا شك أن الناس بالنسبة إلى معلوماتهم عن الفضاء ، ورواد الفضاء يتفاوتون ، فمن كان لديه معلومات قد اقتنع بها بواسطة المراصد أو غيرها ، دلته على صحة ما ادعاه رواد الفضاء الأمريكيون أو غيرهم ، من وصولهم إلى سطح القمر فهو معذور في تصديقه ، ومن لم تتوافر لديه المعلومات الدالة على ذلك فالواجب عليه التوقف ، والتثبت حتى يثبت لديه ما يقتضي التصديق أو التكذيب ، عملًا بالأدلة السالف ذكرها ، ومما يدل على إمكان الصعود إلى الكواكب : قول الله سبحانه في سورة الجن فيما أخبر به عنهم : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن: ٨ – ٩] ، فإذا كان الجن قد أمكنهم الصعود إلى السماء حتى لمسوها ، وقعدوا منها مقاعد ، فكيف يستحيل ذلك على الإنس في هذا العصر الذي تطور فيه العلم ، والاختراع حتى وصل إلى حد لا يخطر ببال أحد من الناس ، حتى مخترعيه قبل أن يخترعوه؟ أما السَّموات المبنية فهي محفوظة بأبوابها وحراسها ، فلن يدخلها شياطين الإنس والجن ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٢] ، قال تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجر: ١٧]. وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء مع جبريل ، لم يدخل السماء

الدنيا وما بعدها إلا بإذن ، فغيره من الخلق من باب أولى ، وأما قوله سبحانه في سورة الرحمن : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٣]. فليست واضحة الدلالة على إمكان الصعود إلى الكواكب لأن ظاهرها وما قبلها وما بعدها يدل على أن الله سبحانه أراد بذلك بيان عجز الثقلين ، عن النفوذ من أقطار السَّموات والأرض ، وقد ذكر الإمام ابن جرير رحمه الله وغيره من علماء التفسير في تفسير هذه الآية الكريمة أقوالا أحسنها قولان . أحدهما : أن المراد بذلك يوم القيامة ، وأن الله سبحانه أخبر فيها عن عجز الثقلين يوم القيامة عن الفرار من أهوالها ، وقد قدم ابن جرير هذا القول ، وذكر أن في الآية التي بعدها ما يدل على اختياره له .

والقول الثاني : أن المراد بذلك : بيان عجز الثقلين عن الهروب من الموت لأنه لا سلطان لهم يمكنهم من الهروب من الموت ، كما أنه لا سلطان لهم على الهروب من أهوال يوم القيامة ، وعلى هذين القولين يكون المراد بالسلطان : القوة ، ومما ذكرناه يتضح أنه لا حجة في الآية ، لمن قال إنها تدل على إمكان الصعود إلى الكواكب ، وأن المراد بالسلطان : العلم ، ويتضح أيضا أن أقرب الأقوال فيها : قول من قال : إن المراد بذلك يوم القيامة ، أخبر الله سبحانه فيها أنه يقول ذلك للجن والإنس في ذلك اليوم ، تعجيزًا لهم وإخبارًا أنهم في

قبضة الله سبحانه ، وليس لهم مفر مما أراد بهم ، ولهذا قال : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٥]

فالمعنى والله أعلم : أنكما لو حاولتما الفرار في ذلك اليوم ، لأرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران منهما ، أما في الدنيا فلا يمكن لأحد النفوذ من أقطار السَّموات المبنية لأنها محفوظة بحرسها وأبوابها كما تقدم ذكر ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *



فضل شهر رمضان المبارك

العدد: (١٦٥)، رمضان: (١٣٩٨هـ)، أغسطس: (١٩٧٨م)

إننا الآن في شهر عظيم مبارك، ألا وهو شهر رمضان، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع فيه الدرجات، وتغفر فيه السيئات، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطيات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، فاستقبلوه بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم.

وفي الصيام فوائد كثيرة وحكم عظيمة، منها تطهير النفس وتهذيبها

وتزكيتها من الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل ، وتعويدها للأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه ، ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذكر شكر الله سبحانه ، والاستعانة بنعمه على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه ، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي : طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه عن إخلاص لله عز وجل ، ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ، وقربى إلى المولى عز وجل ، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض فوائد الصوم في قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [البخاري٥٠٦٥ ، ومسلم١٢ ٤ واللفظ له] .

فبين النبي ﷺ أن الصوم وجاء للصائم ، ووسيلة لطهارته وعفافه ، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ويقوي سلطان الإيمان وتكثر بسببه الطاعات من المؤمنين ، وتقل به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة ، ومنها أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة ، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيرًا من الأمراض ، وقد ورد في فضله وفرضيته آيات وأحاديث كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ ﴾ [البقرة: ١٨٣] إلى أن قال عز وجل : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وفي الصحيحين [البخاري٨ ،ومسلم٧] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» . وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «كل عمل ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ،

يقول الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، وَلَخُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» [أخرجه مسلم٢٧٦٠] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين» [أخرجه مسلم٢٥٤٩] .

وأخرج [الترمذي٦٨٢ ، وابن ماجه١٦٤٢] عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد : ياباغي الخير أقبل ، وياباغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك في كل ليلة» .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه» [البخاري٣٨ ، ومسلم ١٨١٧] وثبت عنه ﷺ أنه «كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم

يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا»[1] وثبت عنه ﷺ أنه في بعض الليالي «يصلي ثلاث عشرة ركعة»[2] وليس في قيام رمضان حد محدود لقول النبي ﷺ لما سئل عن قيام الليل قال: «مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»[رواه أحمد٤٤٩٢] .

ولم يحدد ﷺ للناس في قيام الليل ركعات محدودة ، بل أطلق لهم تلك ، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة ، أو ثلاثا وعشرين ، أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه .

ولكن الأفضل هو ما فعله النبي ﷺ وداوم عليه في أغلب الليالي ، وهو إحدى عشرة ركعة مع الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة ، وعدم العجلة ، لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والخشوع فيها ، وأداؤها كما شرع الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب . كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٢] ، وقال النبي ﷺ : «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[3] ، وقال للذي أساء في صلاته : «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر

---

(١) أخرجه البخاري [٣٥٦٩].

(٢) أخرجه الترمذي [٤٤٢].

(٣) أخرجه النسائي [٣٩٣٩]

معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» [البخاري ٦٢٥٢ ، ومسلم ٩١٢] .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها بل ينقرها نقرًا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ، فالواجب الحذر من ذلك ، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» قالوا : يا رسول الله ، كيف يسرق صلاته؟ ، قال : «لا يتم ركوعها ولا سجودها» [رواه أحمد ١١٥٤٩ ، والحاكم ٨٣٥] .

وثبت عنه ﷺ أنه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها ، فعلى المسلمين اغتنام هذا الشهر العظيم وتعظيمه بأنواع العبادات والقربات ، فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات ويتنافسون فيه بأنواع الخيرات ، والإكثار فيه من الصلوات والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام ، وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، وعلى المسلمين كذلك حفظ صيامهم عما حرمه الله عليهم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخاري ١٩٠٣] وقال عليه الصلاة والسلام : «الصيام جنة ، وإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ،

وإن امرؤ سابه أو شتمه فليقل : إني صائم»[1] وجاء عنه ﷺ أنه قال : «ليس الصيام عن الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفث» [رواه الحاكم ١٥٧٠ ، والبيهقي ٨٥٧١] .

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء»[2] . فينبغي للصائم الإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار ، وسائر أنواع القربات في الليل والنهار ، اغتناما للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات ، ومرضاة فاطر الأرض والسموات . والحذر من كل ما ينقص الصوم ، ويضعف الأجر ، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي ، كالتهاون بالصلاة والبخل بالزكاة وأكل الربا وأكل أموال اليتامى ، وأنواع الظلم وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والغيبة والنميمة ، والكذب ، وشهادة الزور ، والدعاوى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، وتبرج النساء ، وعدم تسترهن من الرجال ، والتشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله ﷺ .

وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان ، ولكنها في رمضان أشد تحريمًا ، وأعظم إثمًا ، لفضل الزمان وحرمته .

---

(١) أخرجه النسائي: [٢٢١٧].

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: [٣٣٧٤].

ومن أقبح هذه المعاصي وأخطرها على المسلمين ما ابتلي به كثير من الناس من التكاسل عن الصلوات والتهاون بأدائها في الجماعة في المساجد ، ولاشك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ [النساء: ١٤٢] ، وقال النبي ﷺ «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر» [رواه ابن ماجه٧٩٣ وابن حبان٢٠٦٤ والحاكم٨٩٤] ، وقال له ﷺ رجل أعمى : يا رسول الله ، إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني ، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ : «هل تسمع النداء للصلاة؟» قال : نعم ، قال : «فأجب» ، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله ﷺ : «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض»(١) .

وقال رضي الله عنه : «لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم » (٢)

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضا ما بلي به الكثير من الناس من استماع الأغاني وآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها . ولاريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن

---

(١) أخرجه ابن ماجة: [٧٩٢].
(٢) أخرجه مسلم: [١٥٢٠].

الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به ، ومن أعظم الأسباب أيضا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان: ٦] .

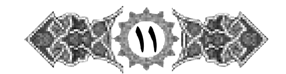
ولقد فسر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق . وقال النبي ﷺ «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحِرَّ والحرير والخمر والمعازف» [رواه البخاري ٥٥٩٠ ، وأبوداود ٤٠٤١] . والحر هو الفرج الحرام والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هي الغناء وآلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب ، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال الغناء وآلات الملاهي ، وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي ﷺ وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع» (١) فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله ، واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره ، وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة . . والله المسؤول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه وأن

(١) أخرجه البيهقي: [٢١٥٣٦].

يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا ، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه ، وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

* * *



أنقذوا أفغانستان المسلمة من طغيان الملاحدة

العدد: (١٨٥) ، جمادى الأولى: (١٤٠٠هـ) ، مارس: (١٩٨٠م)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا أيها المسلمون ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لا يخفى عليكم ما جرى ويجري الآن في أفغانستان البلاد المسلمة من اعتداء روسيا الشيوعية عليها واحتلالها وتقتيل المسلمين وتشريدهم من ديارهم ومحاولة الشيوعية القضاء على الإسلام والمسلمين في أفغانستان ، البلد المسلم ، ومع هذا فهم جادون في الدفاع عن دينهم ثم عن أنفسهم وأعراضهم وبلادهم أمام هذه الحملة الكبيرة الكافرة الظالمة ، وهم في أشد الحاجة بل الضرورة إلى مساعدتهم من إخوانهم المسلمين ، لأن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وإنه يؤلمنا ما يؤلم إخواننا ويسرنا ما يسرهم ، وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب جهاد أعداء الله بالنفس والمال ولاسيما إذا هجموا على شيء من بلاد المسلمين ، وإن المسلمين متى تركوا ذلك أثموا جميعا .

ومن المعلوم أن الخطر الشيوعي يهدد كل دول الإسلام وإننا معرضون لهجمات الشيوعية الحاقدة على الأديان ، ولقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يكفي ويشفي في فضل الجهاد والحض عليه ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦] ، وقوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١]، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ - ١٣]، والآيات في فضل الجهاد كثيرة ، ومما جاء في السنة النبوية المطهرة في ذلك ما رواه الصحابي الجليل أبو هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال : «الإيمان بالله ورسوله» قيل ثم ماذا؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» قيل ثم ماذا؟ قال : «حج مبرور» [أخرجه البخاري٢٦ ، ومسلم٢٥٨] وما رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال : «الصلاة على

وقتها» قلت : ثم أي؟ قال : «بر الوالدين» قلت : ثم أي؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» [أخرجه البخاري٥٢٧ ، ومسلم٢٦٤]

وما رواه الصحابي الجليل أبوسعيد الخدري رضي الله عنه قال :أتى رجل رسول الله ﷺ ، فقال : أي الناس أفضل؟ قال : «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» قال : ثم من؟ قال : «مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ، ويدع الناس من شره» [أخرجه البخاري٢٧٨٦ ، ومسلم٢٩٩٤] والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

ويجب الجهاد على الأعيان في ثلاثة مواضع ، أحدها : إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان ، لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ **[الأنفال: ٤٥]** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ ﴾ **[الأنفال: ١٥]** ، الثاني : إذا نزل الكفار ببلد ، تعين على أهله قتالهم ودفعهم ، كما هو الواقع في أفغانستان ، ويجب على إخوانهم المسلمين في كل مكان دعمهم ومساعدتهم لعموم قوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٤١﴾ ﴾ **[التوبة: ٤١]**

ثالثا : إذا استنفره من له استنفاره ، تعين عليه ، لقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة: ٣٨] . ولقول النبي ﷺ «وإذا استنفرتم فانفروا» [أخرجه البخاري ١٨٣٤ ، ومسلم ٣٣٦٨] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، يجب جهاد الكفار واستنقاذ ما بأيديهم من بلاد المسلمين وأسراهم ، ويجب على المسلمين أن يكونوا يدا واحدة على الكفار ، وأن يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله ويدعو المسلمين إلى ما كان عليه سلفهم الصالح من الصدق وحسن الأخلاق ، فإن هذا من أعظم أصول الإسلام وقواعد الإيمان التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه وأمر عباده عمومًا بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف ، كما قال الله تعالى : ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] ، وأخبر سبحانه بأنه أرسل جميع الرسل بدين الإسلام كما قال تعالى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ [الحج: ٧٨] .

فيا أيها المسلمون في كل مكان ، إن علينا جميعًا أن نشكر الله سبحانه على ما من به علينا من النعم الظاهرة والباطنة وأن نمد يد المعونة والمساعدة لإخواننا المسلمين الأفغانيين الذين يعانون من أعداء الإسلام التقتيل والتشريد والتيتيم والتشتيت في العراء والصحراء في البرد والجوع ، فالواجب على المسلمين جميعًا أن يبذلوا لهم ما يعينهم على جهاد أعداء الإسلام ويمكنهم من أسباب النصر عليهم كل حسب

استطاعته لقول الله عز وجل : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦] ، وقول النبي ﷺ : «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[١] وقوله عليه الصلاة والسلام : «من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»[٢] ، والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والنفقة فيه كثيرة ، ولا مانع من صرف الزكاة لهم لأنهم من الأصناف الثمانية المذكورة في قوله تعالى :﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠] ، والمجاهدون هم المقصودون بقوله تعالى : ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ولا بأس بتعجيلها وإخراجها لهم قبل وقتها ، أي قبل أن يحول عليها الحول ، ويشرع للجميع الدعاء لهم بالنصر والتأييد على أعداء الإسلام لأن الدعاء من أفضل القربات مع بذل جميع الأسباب الممكنة في جهاد الأعداء وإعانة المجاهدين ، ومن أعظم الأسباب التوبة إلى الله سبحانه من جميع الذنوب والاستقامة على أداء فرائضه وترك محارمه لأن المعاصي من أعظم أسباب الخذلان وتسليط الأعداء كما قال الله عز وجل ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠]

---

(١) أخرجه أبوداود: [٢٥٠٦].

(٢) أخرجه البخاري:[٢٨٤٣] ، ومسلم [٥٠١١]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [النساء: ٧٩] .

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ويصلح قادتهم وأن يمن على الجميع بالتوبة النصوح وأن ينصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان وفي كل مكان وأن يجمع كلمتهم على الحق وأن يذل أعداء الإسلام ويشتت شملهم ويفرق جمعهم ويجعل تدميرهم في تدبيرهم وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، إنه على كل شيء قدير .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *



تكريم المصحف

العدد: (٢٠٧)، ربيع الأول: (١٤٠٢هـ)، يناير: (١٩٨٢م)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون هدى ونورًا للعالمين إلى يوم القيامة، وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شؤون الحياة والتحاكم إليه في القليل والكثير.

ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسًا ومعنى، ولكن هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول محمد ﷺ وأخشى أن ينطبق بحق كثير منهم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ [الفرقان: ٣٠]. إذ أصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورًا.. هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من تكريم كتاب الله وحفظه، إذ قصروا في مجال الحفظ والتدبر والعمل كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب

العالمين ، ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات ، وكثيرًا ما تشتمل على آيات من القرآن الكريم في غلافها أو داخلها ، لكن قسما كبيرًا من المسلمين حينما يقرأون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمائم وتوطأ بالاقدام بل قد يستعملها بعضهم لأغراض أخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات ، والله سبحانه وتعالى يقول عن كتابه الكريم : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ [الواقعة: ٧٧ – ٨٠] ، والآية دليل على أنه لا يجوز مس القرآن إلا إذا كان المسلم على طهارة ، كما هو رأي الجمهور من أهل العلم ، وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله ﷺ أن لا يمس القرآن إلا طاهر .

ويروى عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : «لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر»(١) وروى عن سلمان رضي الله عنه إنه قال : لا يمس القرآن إلا المطهرون ، فقرأ القرآن ولم يمس المصحف حين لم يكن على وضوء ، وعن سعد أنه أمر ابنه بالوضوء لمس المصحف ، فإذا كان هذا في مس القرآن العزيز ، فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على آيات من القرآن العزيز سفرة لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات؟ ! لاشك أن هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين .

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظوا على الصحف والكتب

(١) أخرجه الطبري في الكبير: [٣٠٦٤]، والحاكم في المستدرك: [٦٠٥١]

وغيرها مما فيه آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو كلام فيه ذكر الله أو بعض أسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر ، وإذا استغنى عنها دفنها في أرض طاهرة أو أحرقها ولا يجوز التساهل في ذلك ، وحيث إن الكثير من الناس في غفلة عن هذا الأمر وقد يقع في المحذور جهلًا منه بالحكم رأيت كتابة هذه الكلمة تذكيرًا وبيانًا لما يجب على المسلم العمل به تجاه كتاب الله وأسمائه وصفاته وأحاديث رسوله ﷺ وتحذيرًا من الوقوع فيما يغضب الله ويتنافى مع مقام كلام رب العالمين ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا والمسلمين جميعًا لما يحبه ويرضاه .

* * *



وجوب الرجوع إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب

العدد: (٢٢٥)، رمضان: (١٤٠٣هـ)، يوليو: (١٩٨٣م)

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، إلى من يطلع عليه من المسلمين:

وفقني الله وإياكم للتذكر والاعتبار، والاتعاظ بما تجري به الأقدار، والمبادرة بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والأوزار.. آمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإن الله عز وجل بحكمته البالغة، وحجته القاطعة، وعلمه المحيط بكل شيء، يبتلي عباده بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، وبالنعم والنقم، ليمتحن صبرهم وشكرهم، فمن صبر عند البلاء، وشكر عند الرخاء، وضرع إلى الله سبحانه عند حصول المصائب، يشكو إليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه، أفلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة، قال الله جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ② وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ③﴾ [العنكبوت: ١ – ٣].

والمقصود بالفتنة في هذه الآية الاختبار والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب، والصابر والشاكر، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٨]

والحسنات هنا هي النعم من الخصب والرخاء والصحة والعزة ،والنصر على الأعداء ونحو ذلك ، والسيئات هنا هي المصائب ، كالأمراض وتسليط الأعداء والزلازل ، والرياح العاصفة والسيول الجارفة المدمرة ونحو ذلك ، وقال عز وجل : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] ، والمعنى أنه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد ؛ ليرجع الناس إلى الحق ، ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم ، ويسارعوا إلى طاعة الله ورسوله ؛ لأن الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة .

وأما توحيد الله والإيمان به وبرسله ، وطاعته وطاعة رسله ، والتمسك بشريعته ، والدعوة إليها ، والإنكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة ، وفي الثبات على ذلك والتواصي به والتعاون عليه ؛ عز الدنيا والآخرة ، والنجاة من كل مكروه ، والعافية من كل فتنة ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ

إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ – ٤١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقد بين سبحانه في آيات كثيرات أن الذي أصاب الأمم السابقة من العذاب والنكال بالطوفان والريح العقيم والصيحة والغرق والخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم ، كما قال عز وجل : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] .

وأمر عباده بالتوبة إليه ، والضراعة إليه عند وقوع المصائب ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التحريم: ٨] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٣] .

وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده ، وترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض والجراح والقتال والزلازل والريح العاصفة وغير ذلك من المصائب ، أن يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون ، وهذا هو معنى قوله سبحانه : ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ والمعنى هلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا .

ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم ، وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة ، كل ذلك بسبب صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار ، فقال عز وجل : ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقد ثبت عن الخليفة الراشد- رحمه الله- أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه كتب إلى عماله في البلدان وأمرهم أن يأمروا المسلمين بالتوبة إلى الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم ، وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب ، ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان وأثيوبيا وغيرها .

ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة ، ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمرة ، والريح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال والأشجار والمراكب البحرية وغير ذلك ، وأنواع الثلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر ، ومن ذلك المجاعة والجدب والقحط في كثير من البلدان ، وكل هذا وأشباهه من أنواع العقوبات والمصائب التي ابتلى الله بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي ، والانحراف عن طاعته سبحانه ، والإقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة ، والإعراض عن الآخرة ، وعدم الإعداد لها إلا من رحم الله من عباده ، ولا شك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم الله عليهم ، والبدار إلى طاعته وتحكيم شريعته ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، ومتى تاب العباد إلى ربهم وتضرعوا إليه ، وسارعوا إلى ما يرضيه ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، أصلح الله أحوالهم ، وكفاهم شر أعدائهم ، ومكن لهم في الأرض ونصرهم على عدوهم ، وأسبغ عليهم نعمه ، وصرف عنهم نقمه ، كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود: ٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١].

فأوضح عز وجل في هذه الآيات أن رحمته وإحسانه وأمنه وسائر نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به ، وأطاع رسله واستقام على شرعه ، وتاب إليه من ذنوبه ، أما من أعرض عن طاعته ، وتكبر عن أداء حقه ، وأصر على كفره وعصيانه ، فقد توعده سبحانه بأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة ، وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره ، كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤ – ٤٥].

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه ، وبادروا إلى طاعته ، واحذروا معصيته ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ، وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت ، وارحموا ضعفاءكم ، وواسوا فقراءكم ، وأكثروا من ذكر الله واستغفاره ، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون ، واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي ، والله يتوب على التائبين ، ويرحم المحسنين ، ويحسن العاقبة للمتقين ، كما قال سبحانه : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩] .

والله المسؤول بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرحم عباده المسلمين ، وأن يفقههم في الدين ، وينصرهم على أعدائه وأعدائهم من الكفار والمنافقين ، وأن ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

– انتهى –

الفهرس

إصدارات



١- القدس في القلب والذاكرة.

٢- حقوق الإنسان في الإسلام.

٣- النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية.

٤- الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.

٥- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.

٦- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.

٧- الحج ولادة جديدة.

٨- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد.

٩- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

١٠- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.

١١- التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.

١٢- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.

١٣- رياض الأفهام شرح عمدة الأحكام.

١٤- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.

